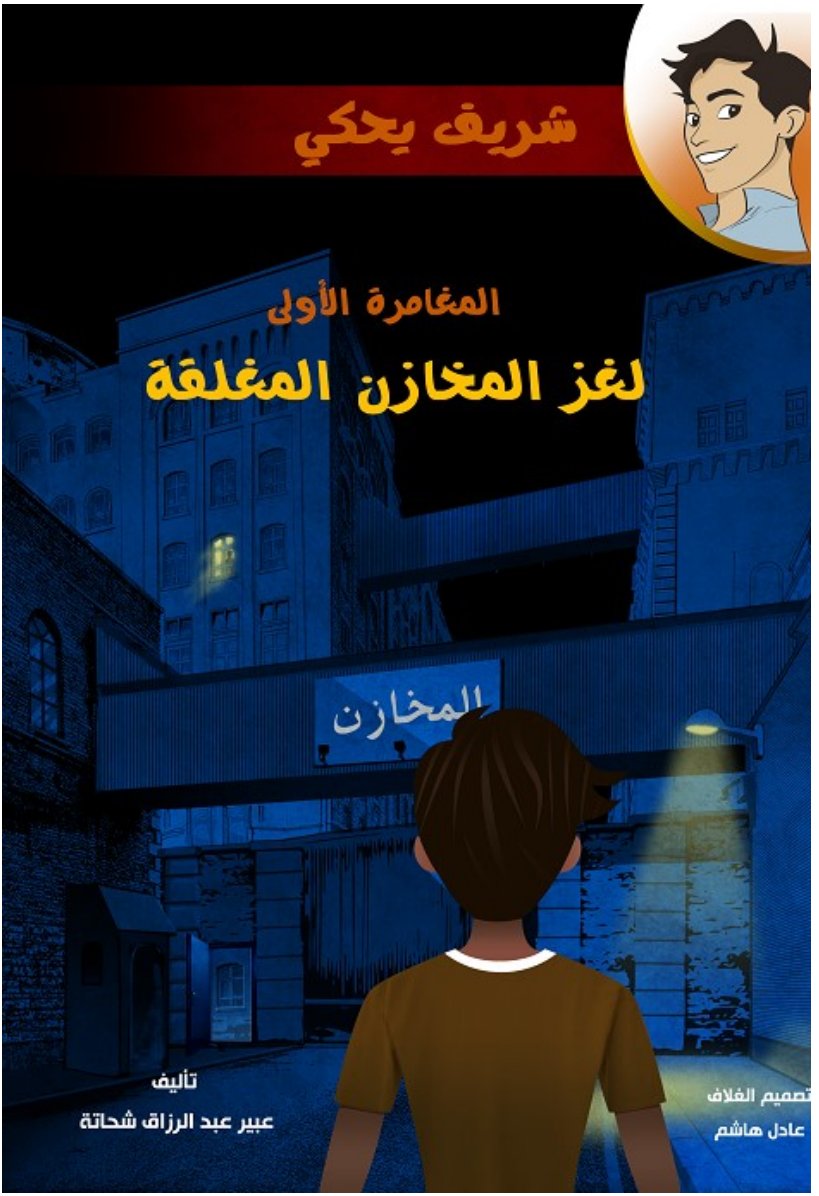
شريف يحكي
المغامرة الأولى
لغز المخازن المغلقة
المخازن
تأليف
عبير عبد الرزاق شحاتة
تصميم الغلاف
عادل هاشم

سلسلة شريف يحكي

المغامرة الأولى

لغز المخازن المغلقة

تأليف

عبير عبد الرزاق شحاتة

قام بتصميم الغلاف

الأستاذ/ عادل هاشم

لغز المخازن المغلقة

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة: **عبير عبد الرزاق شحاتة**

رقم الإيداع بدار الكتب **٢٠٢٠/٥٩٣٠**

رقم الترقيم الدولي ISBN **978-977-90-7065-0**

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأي وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار:

كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

تمت الطباعة في:
مطبعة A2Z Print

شكر وتقدير

طوال مراحل كتابتي لرواياتي لازمتني مجموعة من الصديقات اللاتي نصحنني بشأن محتويات رواياتي وتعبيري عن أفكاري وأساليب كتابتي لها، وأخص بالذكر الصديقات التالية أسماؤهن:

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة هبة الله محمود خليفة:

وطبعًا الأستاذة هبة هي أفضل ناقد أدبي قابلته في حياتي من الرجال والنساء على حدٍ سواء فلديها موهبة أنها تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص روايته لكي تصبح أفضل كثيرًا مما كانت عليه قبل تطبيق نصيحتها أو هي تخبر المؤلف بالشيء الذي ينقص رواية عادية كي يتم تحويلها إلى رواية عبقرية وطالما سمعتها وهي تقرأ لمؤلفين أجانب تُباع كتبهم بالملايين لتقول: "كان على الكاتب أن يفعل كذا .. وكذا." وطبعًا في مثل تلك الحالة لا يمكننا أن ننقل نصيحتها لذلك الكاتب وإن كنت أنا أعتقد أنه كان سيستفيد كثيرًا لو سمع نصيحتها، وقد أعطتني الأستاذة/ هبة خليفة نصيحة غالية للغاية كانت في الصميم عندما نصحتني بشأن أول رواية كتبتها في حياتي "الفجوة السوداء." وكانت تلك النصيحة سببًا في تطوير أسلوب كتابتي بشكل ملحوظ جدًا. وكون الأستاذة هبة هي أفضل ناقدة أدبية على وجه الإطلاق هو رأيي أنا. هبة ستلومني وتقول أنني أبالغ عندما تقرأ ما كتبته عنها، ولكن أنا قرأت للكثير من النقاد الأدبيين ولم أر أحدًا منهم يستطيع أن يخبر الكاتب بما ينقصه حقيقة. الأستاذة/ هبة خليفة لا تعمل في مجال يتصل بالأدب ولكنها قارئة نهمة ووجودها الدائم والمستمر في حياتي كان دائمًا أحد أكبر نعم الله عليّ.

الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ هالة محمد محمد عبد المنعم إسماعيل:

كانت الأستاذة/ هالة على مدار سنين طويلة أحد أكبر الداعمين والمؤيدين لي وطالما شجعتني كي أنبذ الكسل وأعود للكتابة من جديد، وكثيرًا ما قرأت كتبي في فترات كانت فيها شديدة الانشغال

بعملها وحياتها الأسرية ونصائحها بالنسبة لمحتوى كتبي وطريقة كتابتي كانت دائمًا مفيدة للغاية بالنسبة لي.

<u>الصديقة العزيزة والأخت الفاضلة: الأستاذة/ رشا أحمد السيد نجم:</u>

وقد ساهمت الأستاذة/ رشا كثيرًا في دعمي في كل ما احتجته وقراءة رواياتي ونصحي بشأن المحتوى وما يجب أن أذكره وما لا يجب أن أذكره، وأنا أشكرها شكرًا جزيلاً على دعمها الكبير وتشجيعها لي. وطبعًا صديقاتي الثلاث تمتزن بالكثير من صفات الكرم والجدعنة.

الفصل الأول

شريف يحكي

تسارعت دقات قلبي إلى درجة كبيرة وأنا أقفز فوق السور. أعتليت السور ونظرت حولي. أنا من دفعت أخويّ لهذه المغامرة والآن يبدو أنني أكثر تخوفًا منهما. أخي حسن كان إلى جانبي وهو أيضًا كان يرتدي بنطلون وتي شيرت أسودين وطاقية سوداء على رأسه يتم إنزالها لتصنع قناعًا يغطي الجزء الأمامي منها الوجه فيما عدا الفم والأنف والعينين حيث يتواجد أمامهم فتحات داخل القناع.

وأحسست أن حسن بدوره متوتر للغاية، ولكني طبعًا أحسست بالاطمئنان والقوة لأن أخي حسن إلى جانبي فحسن يعرف دائمًا ما يجب أن يفعله وهو قوي ومبادر، وبالتالي فهو يعوض خصلة التردد التي كثيرًا ما أجدها في نفسي فأنا عادة ما أتردد كثيرًا وأفكر كثيرًا جدًا وفي الغالب لا أفعل أي شيء، بينما حسن ذكي وحصيف ولكنه في الأوقات الخطرة يتصرف أولاً ثم يفكر فيما فعله بعد ذلك. على الرغم من أنه في هذه المغامرة تبدو الآية مقلوبة، فأنا من دفعت لهذه المغامرة بينما كان حسن متخوفًا منها. الآن في لحظة الحسم وددت أنا لو أننا لم نقدم على دخول الفيلا بينما حسن يبدو عازمًا وينفذ المهمة بشكل أوتوماتيكي آلي بلا تفكير.

درت بعيني في الساحة الخالية ولم أر أي شيء ... لا يوجد حارس .

وطبعًا كان السبب في ذلك هو المشاجرة التي تجري الآن أمام بوابة الفيلا الأمامية في الجانب الأخر من السور ... كان حارس الفيلا يصرخ: "أنتم أولاد غير مؤدبين وتبدون وتتصرفون كالمتشردين" أو شيء من هذا القبيل .. حاولت ألا أركز في المشاجرة وسمعت صوت محمد حامد يرد عليه: "بل أنت من تبدو وكأنك قد تربيت أصلاً في السجن."

نزعت تركيزي نزعًا من المشاجرة فهي غير مهمة وقد تم تنظيمها فقط لشغل الحراس عن دخولنا إلى المبنى، وركزت عقلي على الوضع الحالي الذي أجد نفسي فيه. كان هناك ضوء ينبعث من وراء مصراع أحد النوافذ .. كان ضوءًا ضعيفًا للغاية لا يمكن رؤيته إلا إذا كنت قريبًا منه كما هو الحال بالنسبة لي الآن. كذلك كان الصوت الذي سمعته حين دخلت الساحة قبل ذلك مسموعًا الآن بوضوح.

قفزنا أنا وحسن إلى الساحة وجرينا إلى خلف المبنى الذي يظهر منه الضوء خلف المصاريع الخشبية لأحد نوافذه. كان هناك باب خلفي للمبنى، وفتحنا الباب ونظرنا قليلاً في الداخل. لم نجد أحدًا ودلفنا إلى الداخل. كان المكان مضاءًا اضاءة خافتة بالداخل وكان به سيارة فان "أتوبيس صغيرمقفول يشبه الميكروباص"، والمكان نفسه كان يبدو كجراج داخلي للمبنى يتسع لعدة سيارات أخرى. درنا حول السيارة الفان "الأتوبيس الصغير المقفول الذي تشبه الميكروباص" واتجهنا إلى نهاية الجراج وهناك وجدنا سلمًا عبارة عن ثلاث أو أربع درجات فقط، وكان السلم صاعدًا ينتهي بباب وفتحنا الباب ببطء وبرفق .. وتعالى الصوت الذي سمعته في الساحة هادرًا مدويًا بحيث لا يمكنك أن تسمع معه أي صوت أخر.

نظرت أنا وحسن أمامنا. ووجدنا أمامنا منطقة مظلمة تراكمت فيها أجولة مملوءة واقفة ومرصوصة بجانب بعضها البعض، وحين أدرنا رؤوسنا لننظر من جانب الباب وجدنا ممرًا طويلاً قوي الإضاءة إلى درجة عالية للغاية بحيث لا يمكن لأحد يقف فيه تحت الضوء أن يرى تلك المنطقة المظلمة المواجهة للباب. وكان هناك الكثير من الرجال في المنطقة المضاءة.

وبالطبع كان العبور إلى المنطقة المظلمة والاختباء ضمن الأجولة الواقفة يمثل خطرًا لأن من ينظر إلى الناحية المظلمة في تلك اللحظة من الموجودين في المنطقة المضاءة قد يرى خيالاً ما ويأتي لتفقد

الموقف وتبادلت النظرات مع حسن والذي قال بصوت مسموع: "ادخل واختبيء وسط الأجولة."

وتحرك حسن بنفسه أمامي وعبر المساحة المظلمة بكل جرأة وثقة .. وكأنه ينتمي إلى المكان وجلس في الخلف وسط الأجولة المرصوصة بحيث أخفته الأجولة تمامًا. هذا أكثر ما أحبه في أخي حسن في الأوقات العصيبة .. حسمه ... هو دائمًا يحسم أمره وينفذ بدون جدل. وحذوت حذوه فورًا وجلست معه في الخلف متسترًا بالظلام والأجولة الواقفة عاليًا من حولي.

ومن مكاني ذاك وسط الأجولة، نظرت أنا وحسن إلى الممر. كان الممر طويلاً جدًا ومضاءًا بشدة وكان يقع وسط غرف تمتد على اليمين واليسار من هذا الممر وداخل الممر كانت هناك آلات تصطف الواحدة تلو الأخرى لمسافة تمتد لحوالي ٣٠٠ متر وكان عرض الممر حوالي عشرة أمتار، وكانت معظم أبواب الغرف مغلقة، وطبعًا كان هذا الترتيب ممتازًا لأنه يحجز الضوء القوي والضوضاء الصادرة عن الآلات في الممر عن النوافذ المغلقة في الغرف المغلقة على جانبي الممر، فلو تم وضع الآلات وهذا الضوء القوي في أحد الغرف المطلة على الساحة لكان صوت الآلات مسموعًا خارج سور الفيلا ولرأى من يدخل الساحة الضوء الصادر من مصاريع النوافذ فورًا بدلاً من أن يرى بصيص ضوء فقط خلف مصراع النافذة ولأدرك من يرى الفيلا في الظلام من الشقق المحيطة بالفيلا والتي هي أكثر ارتفاعًا منها أن هناك من يقيم بالفيلا ويتحرك فيها، ولكن الآن والحال كذلك تبدو الفيلا وكأنها مقفرة ومظلمة داخل ساحة مظلمة وبهذه الطريقة لا تثير اهتمام أحد.

كانت الماكينات المصطفة بالطول في الممر كبيرة وكان خلف كل من هذه الآلات عامل يعمل عليها وأخر في الجانب الأخر من الآلة معه عدسة مكبرة كما يبدو وكان ينظر بإمعان لما يخرج من هذه الآلة وكان هناك شخص يجمع ما يخرج من الآلة ويضعه في جوال

بجانبه ولم أستطع أن أرى ما يوضع في الجوال عند الماكينة الأقرب إلينا لأن جسم الماكينة كان يخفي الجوال ولكن الرجل كان يرفع الجوال كل دقيقة ويجذب قمته إلى الأعلى ليجعل ما يضعه من أشياء يرسب في قاع الجوال. كان هناك عدد من الأشخاص يحملون عدسات مكبرة ويتجولون وسط الآلات ويفحصون بإمعان بدورهم ما يخرج منها، وطبعًا كان هؤلاء هم المشرفون الذين يتأكدون من جودة البضاعة الناتجة.

كان صوت الآلات عاليًا للغاية وكان العمال يتحدثون بالإشارة بسبب أنه لا يمكنهم أن يسمعوا بعضهم البعض بسبب ارتفاع صوت الآلات، وقد غطى معظم العمال آذانهم بسماعات كبيرة كي يحمي أذنيه من الضوضاء المستمرة أو لعلهم كانوا يتلقون رسائل ما عن طريق تلك السماعات من الصعب إصدارها وسط الضجيج الهادر لتلك الآلات التي تعمل بلا توقف.

مد حسن يده يعالج رباط أحد الجوالات الموجودة بجانبنا كي يفتحه وفعلاً تمكن من فتحه وأخرج منه شيئًا لم أره بسبب الظلام وأتسعت عيناه في دهشة وفعلت أنا نفس الشيء وكان لي نفس رد الفعل ولكني وضعت العينة التي أخرجتها من الجوال داخل حقيبة ظهري ثم أعاد حسن غلق الجوال بإحكام. بعدها قمت أنا بالتقاط عدة صور للأشخاص الذين يعملون وراء الآلات بكاميرا الموبايل الخاص بي. كانت الصور بعيدة وكانت كاميرا الموبايل الخاص بي ليست جيدة ولكني قدرت أن أخذ بعض الصور أفضل من لا شيء.

بالإضافة إلى المنطقة المظلمة التي كنا نجلس فيها وسط الأجولة لم يكن هناك مكان حولنا سوى تلك المنطقة المظلمة والمنطقة المضاءة التي تعمل فيها الآلات وغرفة صغيرة مغلقة بالخشب بجانب المنطقة المظلمة التي كنا نجلس فيها سمعت أنا في تلك الغرفة المغلقة بالخشب صوت تقليب ملعقة في كوب ورائحة

نسكافيه قوية ودلني هذا على أن الغرفة المغلقة بالخشب بجانبنا هي نوع من الكافيتريا.

كان من الواضح أن هذه الأجولة قد وضعت في هذه المنطقة لأنها قريبة من مكان السيارات وسرعان ما سيتم حمل هذه الأجولة التي نجلس وسطها ووضعها في السيارة الفان التي رأيناها ونحن ندخل إلى هذا المكان ليتم حملها بعد ذلك إلى أماكن أخرى. ولهذا كما أظن أشار لي حسن أننا قد رأينا ما يكفي وأننا يجب أن نغادر المكان.

قام حسن من مكانه ومن مكان قريب من جانب الكافيتريا أتى رجل يحمل صينية عليها مشروبات عديدة وعندما شاهد حسن فتح فمه وبدا وكأنه سيصرخ!!!

ولكن حسن عاجله بضربة قدم أسقطت عامل البوفيه وكل ما يحمله من مشروبات على الأرض، مما أحدث دويًا هائلاً ونبه العمال العاملين على الماكينة القريبة والذين نظروا لحسن ولي وأنا أقف وسط الأجولة في دهشة شديدة وصدمة.

رأى حسن تابلوه الكهرباء العاري قريبًا منه على الجدار وسرعان ما قفز ليكون بجانبه وأمسك القطعة التي توصل الكهرباء ببعضها البعض ونزعها وغرق المكان في ظلام دامس كثيف واختفى الصوت الهادر العالي للآلات فورًا، ومن بعيد تداخلت أصوات عديدة تصرخ وتشتم. وصاح أحدهم: "إنهما ولدان صغيران ضربا صبحي" وتعالت من خلفه الأصوات التي تسأل وتستفهم.

فتح حسن الباب المجاور لنا واسرع إلى الجاراج وأنا خلفه. مضينا في طريقنا بسرعة حول السيارة الصغيرة المقفولة إلى باب الجراج المؤدي إلى الساحة خارج الفيلا، وبمجرد خروجنا من المكان اصطدم حسن بالحارس الطويل الذي كان يحمل مسدسًا خارج الباب المؤدي إلى الساحة مباشرة. يبدو أن المشاجرة مع فرقة فؤاد

عباس قد انتهت وعاد الرجل ليمارس مهامه في الحراسة على المكان.

مد الرجل يده إلى مسدسه وأخذ يحاول اخراجه من جرابه ولكن حسن ضربه بقدمه ضربة قوية للغاية في وجهه أسقطت الرجل على ظهره على الأرض وطار المسدس بعيدًا.

كنت أتحرك بلا تفكير تقريبًا. أسرع حسن يجري نحو المسدس ليستحوذ عليه وأنا خلفه ومد الرجل وهو ساقط على الأرض يده فأمسك بقدم حسن وجذبه فسقط حسن على الأرض وكاد ينكفيء على وجهه وإن كان قد تحامل بسرعة على نفسه وأخذ يحاول الوقوف. ووصلت أنا إلى المسدس. كان الرجل يجذب حسن من قدمه نحو الرجل ليتمكن منه وحسن يحاول الوقوف ويتحرك في الاتجاه المعاكس.

كان صوت قلبي يدق وتتعالى دقاته حتى كأن صوته يصل إلى سمعي بينما أحسست بأن حلقي ينغلق تقريبًا من شدة الاثارة. وأمسكت المسدس وضغطت زر التأمين الموجود به وسمعت صوت فرقعة فتح زر تأمين المسدس، ووجهت فوهة المسدس إلى رأس الرجل. ترك الرجل قدم حسن والذي قفز على قدميه ورفع الرجل يديه وهو جالس وكفا يديه موجهان نحوي وفي عينيه نظرة راجية وكأنه يقول: "أنا لن أفعل شيئًا. أرجوك لا تطلق الرصاص." وسرعان ما أعطيت الرجل ظهري وجريت أنا نحو السور وحسن بجانبي وقفزنا فوق السور من ناحية الساحة ثم قفزنا بعدها بدون تفكير إلى الشارع خلف السور، وسمعنا من خلفنا أصوات رجال يتدفقون نحو الساحة وجرينا نحو سيارة عبد الله التي كانت تنتظرنا ومحركها دائر. لم تمر سوى دقائق معدودة منذ قفزنا على السور للدخول إلى الفيلا.

دخلنا إلى السيارة وصرخ حسن محدثًا عبد الله: "أخرجنا من هذه المنطقة يا عبد الله بسرعة أرجوك. لقد فطنوا إلى وجودنا ولابد أنهم الآن سيخرجون وراءنا."

انطلق عبد الله بسيارته يدور حول سور الفيلا ثم اتجه نحو الشارع الذي توجد به بوابة الفيلا الخارجية ليخرج منه إلى الشارع الرئيسي، وكانت هناك مجموعة من العمال يتقدمهم الحارس الذي أخذت مسدسه واقفين أمام البوابة الخارجية للفيلا، وما إن رأوا سيارتنا حتى صرخ الحارس: "هؤلاء هم." وطبعًا لم يكن قد خطر ببالي أو ببال حسن في الدقائق القليلة التي جلسنا فيها في السيارة أن نخلع اقنعتنا. كنا لا نزال نلبس الأقنعة وقد رآنا الحارس. كان بعض من يجرون وراء السيارة يصورون لوحة السيارة بالهواتف النقالة الخاصة بهم.

وانطلق عبد الله بسرعة متوسطة في الشارع وهو يناور لكي يتجنب الاصطدام بأي شيء في الشوارع الداخلية، ثم دار بسيارته داخلاً الشارع الرئيسي وسرعان ما رفع سرعة السيارة وداس بقوة على بدال البنزين لتنطلق السيارة ويختفي عن أنظارنا العمال الذين كانوا يجرون وراء السيارة.

وصرخ حسن: "عبد الله. كانت هناك سيارة Van فان تقف في الجاراج. لابد أنها الآن ستخرج للبحث عنا وقد عرف العمال مواصفات سيارتنا ورقمها. لا تستمر في الشارع الرئيسي أرجوك. ادخل إلى الشوارع الجانبية وتجول فيها حتى ينتهوا من البحث عنا في الشارع الرئيسي."

واتجه عبد الله إلى الشوارع الفرعية واستمر يدور فيها لمدة تقارب حوالي الساعة ثم انطلق بالسيارة صاعدًا الكوبري إلى منطقة وسط البلد، ومن هناك قام بركن السيارة في أحد الشوارع المكتظة بالسيارات في وسط البلد وركبنا جميعًا سيارة أجرة عائدين إلى

مدينة الأزهار بعدما خلعت أنا وحسن الطاقيتين السوداوين اللتين كنا نلبسهما."

ومن هنا نعود إلى بداية القصة.

الفصل الثاني

شريف يحكي

بدأ الأمر كله في أحد الأيام في بداية الصيف. كنت أنا وحسن ومصطفى أخواي قد سهرنا مع أصدقاءنا في بيت أحد الأصدقاء نحتفل. كان حسن أخي الأكبر والذي هو طالب قد أنهى لتوه اختبارات السنة الثانية الثانوية وعمره حوالي ستة عشر عامًا قد أنهى اختباراته النهائية في صباح ذلك اليوم الذي كنا نحتفل في ليلته. كان حسن هو آخر من يمر باختبارات منا، فقد أنهيت أنا اختباراتي في الصف الأول الإعدادي منذ وقت طويل وكذلك فعل أخي مصطفى وهو قد أنهى اختبارات السنة الأولى الثانوية قبل حسن بأسبوعين. كانت تلك الليلة تمثل بداية الإجازة الدراسية الجماعية لنا نحن الثلاثة.

بداية من تلك اللحظة أصبح من حقنا أن نرفع صوت التلفاز في بيتنا دون أن يُقال لأي منا: "تأدب وخفض صوت التلفاز فأخوك فلان لديه امتحانات." وطبعًا يكون رفع صوت التلفاز في الحدود المعقولة لأن أمي أصلاً تتضايق من ارتفاع صوت التلفاز.

كذلك كانت نهاية الاختبارات ايذانًا ببدء سفرنا إلى المصيف وذهابنا في رحلات وزيارة أقاربنا في مختلف محافظات الجمهورية وحرية أوسع في الحركة دون أن تقوم أمي بالحد من حريتنا لأن لدينا مذاكرة ودراسة يجب أن نركز عليها. لذلك كنا نحتفل في تلك الليلة بنهاية الامتحانات.

تأخرنا في تلك الليلة في الاحتفال وعدنا نحن الثلاثة إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل ولم تقل أمي شيئًا فهي تعرف أننا قد خرجنا في تلك الليلة لنحتفل.

ولكن أمي، سامحها الله، أيقظتنا في وقت مبكر للغاية من صباح اليوم التالي. فتحت عيني بصعوبة بعدما أيقظتني أمي، وسمعتها تقول وهي توقظ أخي مصطفى: "قوموا. لدينا اجتماع." وطبعًا لا تعقد الاجتماعات في بيتنا إلا لأمر جلل، ولكني طمأنت نفسي بأنه ولابد اجتماع مناقشة السفر للمصيف وتحديد ما هي المتطلبات اللازم احضارها للمصيف، ولكني لم أطمئن نفسي كثيرًا لأن أمي تحب المفاجآت، ولكن لابد أن يكون هذا الاجتماع مخصص لغرض المصيف، وإلا فلماذا توقظنا مبكرًا هكذا.

ولكن أمي كان يبدو عليها أن الأمر خطير ومهم. المهم، استيقظت وعيني نصف مفتوحتين وأنا أمني نفسي بلحظة نهاية الاجتماع والتي أنوي من بعدها أن أعود للنوم ثانية فورًا. اليوم إجازة. ألا تعرف أمي ذلك!

وسمعت مصطفى يقول: "اليوم بداية الإجازة يا أمي. ألا نستطيع أن نؤجل الاجتماع ليوم أخر أو حتى للمساء." وصاحت أمي بحزم: "بل سنجتمع الآن وفورًا. ما لدي من اخبار لا تحتمل الانتظار وستعتادون من الآن فصاعدًا على الاستيقاظ مبكرًا. هيا قوموا."

قمت ووجدت أن أمي قد أعدت الافطار على المائدة. ليست هذه عادتها فهي عادة تصر على أن نساعدها في تحضير الإفطار في أيام الأجازة.

المهم جلست أمام الإفطار وأكلت بشكل آلي ميكانيكي فشربت الشاي وفردت الجبن على الخبز وقشرت البيض وأكلت الفول وأصبحت جاهزًا للعودة للنوم من جديد.

وصاح مصطفى والذي يبدو أنه أكثرنا افاقة اليوم حيث أن لديه ما يكفي من الطاقة للتعبير عن امتعاضه: "يا ماما. أنت من دعيت للاجتماع وأنت فقط تعرفين موضوع الاجتماع، وقد أيقظتينا من عز

النوم للاجتماع. لو بدأت بالكلام الآن فسيبدأ الاجتماع. نحن الثلاثة جالسين وكلنا آذان مصغية."

كدت أصيح في مصطفى أمام أمي: "تحدث عن نفسك." فأنا شخصيًا كنت نصف نائم وكان حسن مغمض العينين تقريبًا وبالطبع لابد وأنه كان مثلي يتوق إلى النوم ولكن مكره أخاك لا بطل.

وقالت أمي: "على الرغم من أنكم قد احتفلتم ببدء أجازاتكم وهذا معناه أنكم تريدون أن تذهبوا إلى المصيف فلن نستطيع أن نفعل ذلك في هذا العام."

ما قالته أمي أيقظ حسن فجأة وقال حسن باعتراض شديد: "ماذا! هل سنمضي ثلاثة أشهر بالقاهرة دون مدرسة؟ سنشعر بالملل الشديد."

وردت أمي واسمها "مدام/ هبة": "كلا ستعملون في مشروع تجاري خاص بالأسرة ولن تجدوا وقتًا للشعور بالملل."

وأزعجني ما قالته أمي. إننا طلبة وعملنا هو الدراسة وقد انتهت دراستنا أمس. وقلت ممتعضًا: "مشروع تجاري! أي مشروع تجاري؟ ليس لدينا أي مشروع تجاري."

وقالت أمي ما يبدو أنها قد تدربت عليه بينها وبين نفسها لفترة قبل الدعوة للاجتماع: "سيكون لدينا مشروع تجاري. قد يضطر أبوكم إلى ترك عمله بالخليج خلال فترة قصيرة، لهذا يجب أن يكون لدينا مشروع تجاري يغطي مصاريفنا ويعمل فيه أبوكم حين يعود إلى مصر."

وفتحت أنا عيني على اتساعها في تلك اللحظة. هل طُرد أبي من عمله بالخليج؟ أمي قالت "قد يضطر إلى ترك عمله." هل الأمر

بالفعل أسوأ مما قالته أمي؟ يجدر بي أن أنصت جيدًا وأستمع لأفهم ما يحدث من خلف ظهورنا.

قالت أمي: "لقد أعددت موقعًا على الانترنت ودبرت له بالفعل استضافة "hosting" وصممت له الإطار الخارجي وأصبح جاهزًا كي نفعل عليه أي شيء. أنا شخصيًا فكرت في عمل جريدة يعلن فيها الناس عن بيع أشياءهم المستعملة أو الأشياء التي يريدون بيعها عمومًا. هناك جرائد شهيرة مثل هذه صدرت ولاتزال تعمل، وهناك مجلات مخصصة للإعلانات صدرت ولكن سرعان ما تم اغلاقها وذلك لأنهم يعتمدون على الأيدي العاملة المؤجرة من خارج أسرة الجريدة، أما نحن فسنعتمد على الموارد الذاتية الداخلية. أي فقط أنتم الثلاثة."

ورد حسن بصراحة شديدة جدًا: "بصرف النظر عن أننا لن نذهب إلى المصيف في الإجازة وهذه صدمة بالنسبة لي وخبر سيء، فإن انشاء جريدة على موقع على الانترنت ليست شيئًا جديدًا. كثيرًا ما فعلوها وكثيرًا ما فشلت. لن تكون هذه الجريدة ناجحة على المدى القصير. هناك الكثير من الناس كما قلت أنت قاموا بهذا المشروع، ولكن هذا المشروع لن يأتي بأموال كافية بسرعة. لابد أن يذيع صيت الموقع ويعرفه عدد كبير جدًا من الناس حتى يتشجع الناس ويدخلون على الموقع بشكل منتظم، ووقتها فقط يمكن أن يأتي بأي مال وهذا سيستغرق وقتًا طويلاً."

وقالت أمي بعناد: "ولهذا قررت بدء المشروع الآن. الآن أبوكم لايزال لديه عمل يستطيع معه أن يغطي مصاريفنا وبداية مصاريف الجريدة. بعد فترة من يدري! إن تسريح العمالة المصرية من دول الخليج يتزايد الآن. فرصتنا الوحيدة أن تكون الجريدة قد كبرت بشكل كافٍ وأصبح لديها ما يكفي من أعداد العملاء قبل أن يضطر أبوكم لتركٍ عمله."

وأردفت أمي "مدام هبة" تقول: "لقد بدأت موضوع الجريدة هذه في أول الصيف كي تكونوا قد فرغتم من المذاكرة وأصبح لديكم وقت كافي للذهاب للعملاء والقيام بالمشاوير الخاصة بالموقع الالكتروني. وهناك عوامل أخرى اضافية مثل أن المصريين العاملين في الخارج يزورون مصر في فترة الصيف، فالصيف عمومًا فترة رواج، ولا يمكننا أن نفوت الصيف إذا كنا نريد بدء مشروع تجاري ناجح. يجب علينا جميعًا أن نبدأ العمل الآن."

أخي مصطفى يرى في كل مناسبة فرصة لزيادة رزقه وشعاره في الحياة هو مثل سمعه مرة "حِّرك يدك، تجد مالاً." وقال مصطفى: "بصرف النظر عن أننا لن نحصل على إجازة هذا العام، أنا موافق ولكن طبعًا يجب على الموقع أن يدفع المصاريف الخاصة بالعاملين وتكلفة المواصلات."

وأجابت أمي والتي تعرف مصطفى جيدًا وبالتالي تعرف جيدًا ما يقصده: "في الواقع المبلغ الموجود معنا لهذا المشروع محدود، ولكننا سنحاول أن نكافيء المجهود بشكل عادل أي أننا سندفع بعض المبالغ التشجيعية للعاملين." ونظرت أمي إلينا أي أنها تقصد أننا نحن سنكون العاملين بالموقع وأردفت وهي تومیء برأسها للتأكيد: "وبالطبع سندفع المصاريف وتكاليف الانتقال ومبالغ اضافية أيضًا ولكن بحدود."

وقال مصطفى بوضوح أكبر: "المسألة هي هل ستضاف مبالغ مالية كافية فوق المصروف الذي نتلقاه الآن؟ أنا شخصيًا سأمت من مسألة جفف زيت المتبعة حاليًا. المصروف لا يكفيني ولو كانت ستتم زيادته مقابل العمل فأنا موافق على العمل."

وقالت أمي وهي تحاول ألا تعد بشيء قد لا تقدر على فعله بعد ذلك: "سندفع مبالغ إضافية كافية، ولكن يجب ألا نبالغ في حجم توقعاتنا. كما قلت. الميزانية محدودة."

وقال حسن: "Fair Enough"

وطبعًا في تلك اللحظة بدا لي أنا فجأة أنه قد تم استبعادي من الخير القادم على شكل هبات مالية مقابل العمل وسألت أمي: "وهل سأعمل أنا أيضًا؟ أعني هل سأساهم في العمل مقابل مبلغ إضافي فوق المصروف؟"

وقالت أمي وقد فطنت لما أرمي إليه: "طبعًا. الجميع سيعملون ولكن لأنك صغير فستذهب مع أحد أخويك في كل مرة، خاصة لو كان أحد أخويك سيذهب إلى شقة خاصة أو مكان مغلق فستذهب معه ولكن لو كان الموعد في شركة او مؤسسة أو مكان عام فسيذهب إما مصطفى وحده أو حسن وحده، وأنت لن تذهب وحدك لأنك صغير."

وقال مصطفى وقد بدأ يتحمس للمشروع ويناقشه خاصة وأن هناك خيرًا قد يأتي إليه من المشروع بشكل مباشر: "كي ينجح هذا المشروع ويذيع صيت الموقع، لابد أن يقدم الموقع شيئًا يميزه عن غيره. ألعاب مثلاً أو أخبار أو شيء من هذا القبيل."

وأردفت أمي: "أنا أيضًا فكرت في هذا ولأنني صحفية فقد فكرت أن أغطي أخبار الحوادث التي تحدث في مصر .. أي أقوم بتحليلها وأناقشها وأشياء كهذه .. لكن جزء من هذا كذلك سيعتمد عليكم. أنتم صغار وتتحركون في كل مكان .. في النادي وفي الشوارع وحيث سنرسلكم للعملاء كما أنكم تعرفون الكثير من الأولاد في سنكم وهؤلاء مجال حركتهم واسع للغاية. يمكنكم إذا سمعتم من زملاءكم عن أحداث أو أخبار مثيرة أو قابلكم أثناء حركتكم أي أحداث أو أخبار مثيرة أن تبلغوني عنها ووقتها سأذهب أنا لتغطيتها باعتباري صحفية."

وأردف أمي بحماس :"لو نشرنا معلومات إضافية عن حادثة ما، ولو كنا أول من ينشر معلومات حول خبر مثير صنعنا به سبقًا على

بقية الجرائد فسوف يكون الدخول على موقعنا أكبر بكثير وسيذيع صيت موقعنا بسرعة ويمكننا وقتها أن نحصل على الاعلانات من جوجل أدسنس[1] وهذا يمكنه أن يحقق لنا دخلاً معقولاً."

وسألت أمي: "وكم من المال سنأخذ من كل عميل مقابل الإعلان عن منتجه أو الشيء الذي يريد بيعه؟"

فقالت أمي وهي تزم ملامح وجهها بامتعاض: "في البداية أخشى أن جميع الاعلانات ستكون مجانية."

[1] جوجل ادسنس هو نظام يقوم فيه جوجل باستغلال المواقع التي يتم الدخول عليها من الجمهور بوتيرة عالية ويقوم هذا النظام بوضع اعلانات على هذه المواقع مقابل الاتفاق مع أصحاب هذه المواقع على اعطاءهم مبالغ مالية تعتمد على عدد مرات مطالعة الاعلان وهذه المبالغ المالية عادة ما تكون مجزية خاصة في المواقع التي يتم الدخول عليها بكثافة.

الفصل الثالث

شريف لازال يحكي

وصرخت أنا وقد تملكتني الدهشة والصدمة معًا: "ماذا! سنعلن عن الأشياء مجانًا."

وقالت أمي: "أخشى أن هذا هو ما يجب علينا أن نفعله. فلو طلبنا من الناس مبالغ مالية مقابل الإعلان عن منتجاتهم لقالوا في أنفسهم أنه لا أحد يدخل على مجلتنا على الانترنت لأنها جديدة، أما إذا قلنا لهم أننا سنعلن عن منتجاتهم مجانًا، فسيقولون في أنفسهم "وماذا سنخسر إذا قمنا بالإعلان عن منتجاتنا على موقعهم؟"

وابتسمت أمي وقالت وكأنها تحلم: "وطبعًا سيدخلون هم وأقاربهم وأصدقاؤهم وربما زبائنهم كذلك على الموقع ليروا كيف تم وضع منتجاتهم على الموقع وربما يفعلون ذلك كل يوم وسيطلبون بعض التغييرات في طريقة العرض وسوف نستجيب لطلباتهم مجانًا إن لم يتطلب التغيير الكثير من المجهود، وإلا فسيكون ذلك مقابل مال، وسيصنع هذا كله وتيرة دخول عالية على الموقع ستجعل المزيد من الناس يدخل على الموقع في المستقبل لكي يرى المنتجات ويطلع عليها، مما سيجعل جوجل يضع موقعنا في مقدمة المواقع على الانترنت. إنها دائرة تشبه البيضة والدجاجة، فكلما زادت الاعلانات، كلما زاد الدخول على الموقع وارتفع ترتيبنا في موقع البحث جوجل، وكلما زاد الدخول على الموقع وارتفع ترتيبنا على جوجل، فستزداد الإعلانات، ولكن في البداية يجب أن تكون خدماتنا مجانية. هل فهمت يا شريف؟"

وأومأت برأسي للدلالة على أنني قد فهمت، ورأيت كلاً من مصطفى وحسن يومآن برأسيهما أي أنهما مثلي لم يفهما هذا الأمر وحدهما في البداية.

وقلت لها: "ولماذا نذهب لتحصيل اعلانات مجانية، فلنتصل بالشركات ومحلات السوبر ماركت وغيرها ونطلب منهم ارسال مواد الإعلان الخاصة بهم على الواتس آب أو على فيبر أو على البريد الالكتروني أو على غيرها من البرامج المجانية."

وقالت ماما: "طبعًا في البداية، سأتحرك أنا أكثر، فسأذهب مع واحد منكم، وليكن حسن أو مصطفى إلى سلاسل السوبرماركت والشركات والمتاجر الكبرى أطلب منهم تقديم اعلاناتهم لنا وأخبرهم أننا سننشرها مجانًا. أما بالنسبة للشركات الصغيرة والمتوسطة ومحلات البقالة وغيرها فسنتصل بهم طالبين منهم أن يرسلوا لنا اعلاناتهم بشكل الكتروني، أما الشركات والمتاجر التي ليست لديها مواد دعائية ولا صور لمنتجاتهم فيمكننا أن نرسل لهم مندوب يقوم بتصوير اعلاناتهم وتصوير المتجر والبضاعة التي يريدون الاعلان عنها ويكون هذا مقابل مبالغ مالية صغيرة، وسنرسل في هذه الحالة مصطفى أو شريف لأنهما يحبان التصوير ونرسل مع من يذهب منهما حسن ليؤازه. سنتصرف طبقًا للحالة."

وقال حسن: "ولكن بعد تحقيق الموقع لدرجة من الانتشار سنطلب بعض المال بالطبع."

وردت أمي مؤكدة على كلامه: "طبعًا .. ولكن وقتها سنتحرك خطوة خطوة .. في البداية سننشر الاعلانات مجانًا ثم يوضع الإعلان على الموقع طوال الشهر مقابل مبلغ خمسين جنيه أو مبلغ متواضع كهذا .. ثم يتم زيادة الأجر إلى ١٠٠ جنيه للإعلان وهكذا، وفي جميع الأحوال فستبقى مبالغ الإعلان صغيرة حتى لا ينتقل عملاؤنا لمنافسين لنا."

وقال مصطفى: "أرى أنك قد فكرت في هذا الأمر مليًا يا أمي ووصلت لنتائج ممتازة. ولكن سيكون طبعًا على الموقع أماكن مميزة بها اعلانات ذات حجم اكبر يحيطها برواز أو إطار عريض

مرسوم مثلاً أو يمكن أن تكون بلون مختلف، أو إعلانات تعرض مقطع صورة أو مقطع فيديو للسلعة عند الضغط عليها وهذه المساحات والخدمات المميزة لن يكون الإعلان فيها مجانًا حتى في البداية. يبدأ الإعلان فيها بمقابل صغير ثم يزداد هذا المقابل تدريجيًا."

طرقت أمي المائدة الخشبية بيدها بحبور وقالت: "بالضبط. بالضبط. أنتم أولادي وتفكرون مثلي. هذا بالضبط ما فكرت فيه."

وقال حسن: "ولكن هناك نقطة أخرى. الأفضل من وجهة نظري أن نتخصص في منطقة ما، وسوف يوفر لنا هذا الكثير من النفقات وكذلك مصاريف الانتقال والوقت الطويل الذي نقضيه في الانتقال والمواصلات. نحن نعيش في مدينة الأزهار، وهي إحدى مناطق القاهرة، ومدارسنا ونادينا موجودين في مدينة الأزهار وكذلك معارفنا واصدقاؤنا وبالتالي الأخبار التي يمكن أن نحصل عليها من المرجح أن تكون كلها من مدينة الازهار. إذن فلنعمل فقط في مدينة الأزهار ونضع على الموقع الخاص بنا جميع الإعلانات وجميع الأخبار الخاصة بمدينة الأزهار."

وزمت ماما شفتيها وهي تتحدث قائلة: "هذه فكرة رائعة. كيف حدث أنني لم أفكر فيها؟ فعلاً، لو تخصصنا في منطقة معينة مثل مدينة الازهار فسنقدم تغطية تجارية واعلانية وإعلامية متميزة، بل أن بعض الصحف القومية قد تلجأ إلى جريدتنا للحصول على المعلومات عن المنطقة، وسوف يعطينا هذا تميزًا على جميع منافسينا."

وفكرت أنا وقلت: "نعم ولنسمي جريدتنا "كتالوج جريدة الأزهار."

وضحكت أمي لفكرتي وقالت: "(كتالوج). نعم. حلوة كلمة "كتالوج" هذه. أنا موافقة على جميع اقتراحاتكم حتى تعرفوا أنني أم ديمقراطية واحترم كل الآراء."

وضحك مصطفى ساخرًا وهو يقول: "هذه المعلومة بالذات نعرفها جميعًا."

وسأل حسن: "وكيف سنبدأ الآن؟"

وردت ماما: "ستبدأون فورًا اليوم بعد انتهاء الاجتماع في شارعنا هذا بالمرور على جميع المتاجر وسؤالهم عما إذا كانوا يرغبون في الإعلان عن متاجرهم مجانًا في جريدتنا، وليكن لكل منهم اعلان صغير مختصر، ومتاجر البقالة يمكنها أن تعلن عن عروضها على عدد قليل من السلع مجانًا، وإذا لم يكن لديها صور للسلع التي تريد الاعلان عنها، اعرضوا عليهم أن نقوم بتصوير بضاعتهم مقابل مبلغ مالي صغير، وليكن عشرة جنيه عن كل سلعة مثلاً في البداية."

وفكرت أمي للحظات ثم قالت: "نعم، ويجب كذلك أن تقوموا بعمل إعلان على ورقة بيضاء تقول: "اعلن عن بضاعتك مجانًا على موقع كتالوج مدينة الازهار ونضع أرقام هواتفكم لكي نتلقى الاعلانات بالتليفون وكذلك البريد الالكتروني للمجلة، ويجب طباعة عدد كبير من النسخ من هذه الورقة ولصقها على مداخل العمارات في كل العمارات المحيطة بنا اليوم."

وفكرت أمي قليلاً ثم قالت: "كذلك سأتجه أنا بعد هذا الاجتماع إلى جهاز حي مدينة الأزهار. لو أن هناك قطع للمياه عن بعض الأحياء في مدينة الأزهار، فقد يهتم سكان مدينة الأزهار بالدخول على الموقع لمعرفة الخبر ومعرفة تفاصيله. كذلك ليذهب حسن أو مصطفى إلى المكتبة الكبيرة الموجودة في الحي لمعرفة برنامجها لهذا الشهر كي ننشره على موقعنا. سنبدأ بالحركة بعد اجتماعنا هذا مباشرة."

الفصل الرابع

شريف لازال يحكي

وقال حسن: "يمكننا أن نصنع لجريدتنا حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي فيس بوك وتويتر وانستغرام، وبهذه الطريقة نزيد من تأثير الإعلان للاشخاص الذين يعلنون معنا ونستطلع آراء الجمهور حول الخدمة التي نقدمها وبالتالي نثير المزيد من الناس للدخول على جريدتنا وقراءتها ومتابعة عملنا، ولن يكلفنا هذا أية أموال."

وطبعًا كان هدف حسن أن يجلس على مواقع التواصل الاجتماعي طوال النهار يحدث اصدقائه ثم يتم منحه مكافآت مالية بما أنه يعمل وينشر بعض الاعلانات الخاصة بالجريدة بالتزامن مع حديثه مع أصدقاءه، ولكن أمي قضت سريعًا على آماله في هذا الصدد حين قالت: "أنتم بالطبع ستساهمون في هذا الأمر في وقت فراغكم ولكن هذه الأمور ستُترك أساسًا للبنات."

وصحت أنا: "ماذا! البنات."

وردت أمي: "طبعًا. لابد من استغلال جميع الأيدي العاملة المتاحة ذات الأجرة القليلة، وسوف نضم إلى فريق تحرير المجلة دينا وسلمى ابنتي خالتكما إيمان، وسوف تعمل دينا كسكرتيرة ترد على التليفونات وتحدد المواعيد بينما ستعمل سلمى أساسًا على فيس بوك وتويتر وانستغرام وغيرها من المواقع. ستحاول أن تقيم حوارًا مع الناس وتجذب أكبر عدد من الناس لمتابعتنا وأنتم بدوركم عليكم أن تشجعوا اصدقائكم وزملائكم في المدرسة والنادي على الدخول على موقعنا الجديد وعلى حسابات فيس بوك وانستغرام الخاصة بالجريدة كي تزداد الاتصالات بها فنحصل على ترتيب متقدم على موقع البحث جوجل."

وصرخ حسن: "أنا أجيد العمل على فيس بوك وتويتر وغيرها من المواقع أكثر من دينا وسلمى."

وصرخت أنا: "وأنا كذلك."

وردت أمي بحسم قائلة: "أوامري تصدر مرة واحدة ولن أثنيها. البنات ستبقين في المكتب وتقمن بالرد على التليفونات ومتابعة مواقع التواصل الاجتماعي بينما يذهب الأولاد إلى أماكن العملاء لاستلام مبالغ الاعلانات. ليس من المعقول أن يجلس الأولاد في البيت بينما يتم ارسال البنات إلى أماكن العملاء."

ونظرت أمي إلينا نحن الثلاثة وقالت: "كلامي منطقي وإلا فما رأيكم؟"

وبالطبع كان حديثها منطقيًا ولهذا تحدثت بلهجة ساخرة على الرغم من أنني كنت أوافقها الرأي وقلت: "طبعًا يا ماما. نحن الرجال نذهب في المواصلات إلى أماكن العملاء أو نمشي لساعات حتى نصل إليهم ونتمرمط بينما تقوم بالبنات بالأعمال السهلة وتجلسن طوال اليوم تتواصلن مع صديقاتهن على فيس بوك."

وطبعًا هذا الكلام لم يكن على هوى حسن أخي، ولهذا هوت يد حسن الثقيلة على قفاي وهو يقول مقلدًا إياي: "نحن الرجال. ومنذ متى أصبحت رجلاً يا كتكوت؟"

وضايقني ذلك بالطبع وإن كنت معتادًا على سماجته وثقل دمه. دفعت يده بعيدًا عن ياقة قميصي وصرخت فيه منتفضًا لكرامتي: "الكل يقول أنني أطول بسرعة وفي خلال عامين فقط سأكون أطول منك ووقتها ستشعر بالضآلة حين يرى الجميع أن أخاك الأصغر أطول منك."

ودفعني حسن إلى الخلف بقوة وهو يقول: "سيصدق هذا الأمر لو كنت وحدك من سيزداد طوله يا مفعوص."

وصاح حسن مشيرًا إلى صدره بفخر وقال: "الكبير كبير والنص نص نص والصغير منعرفوش."

ودفعني حسن من الخلف فأندفعت لمسافة قصيرة إلى الأمام وكدت أنقلب على وجهي واستدرت متخذًا وضع الركلة الأمامية ماي جيري لمواجهته، واستعد هو لمواجهتي ولكني سمعت صوت أمي من خلفي تحدث حسن بلهجة تحذيرية قائلة: "وماذا الآن؟ هل جلستم مع بعضكم لفترة كافية كي يبدأ الشجار؟ يجب أن نتحكم في انفعالاتنا وإلا سينتهي هذا الاجتماع بمشاجرة بيني وبين أحدكم."

وقال حسن وهو يحك رأسه وقد أحس أن مضايقته لي ستجر عليه عقاب قريب مثل الحرمان من المصروف والحرمان من الخروج أو الحرمان من مشاهدة التلفاز ومثل هذه الحرمانات المفضلة لدى أمي وقال حسن: "ألم ينته هذا الاجتماع بعد؟ على العموم أنا كذلك أفضل ألا ينتهي هذا الاجتماع بمشاجرة."

وطبعًا كنت أنا قد تضايقت كثيرًا لمضايقة حسن غير المبررة لي. هو فقط ضربني لأنه يستطيع وأنا لم أفعل له شيئًا ولهذا هددته وقلت وأنا أتظاهر أنني أحدث أمي: "يا ماما. دعيه يتمادى ويفعل ما يريده. في أول تمرين جودو قادم سأشكوه لكابتن طه مدرب الجودو الخاص بنا وكابتن طه سيغضب منه ويجعله يقفز بطة وهو جالس القرفصاء حول حدود الملعب أي اكثر من مائة المرة وسيجعل الرجال يلقونه من فوق رؤوسهم بحركة هاراي جوشي أو موروتيه سيوناجي كل منهم عشر مرات وسينظفون بظهر بدلة الجودو الخاصة به بساط اللعب."

وظهر القلق فورًا على وجه ماما حتى أنني أحسست بالندم من الحديث أمامها، رغم أن العقوبة التي ذكرتها هي عقوبة خفيفة يطبقها كابتن طه لأتفه الأسباب، حتى لمجرد التأخر على التمرين لدقائق.

وقالت أمي بحسرة: "صحيح. لقد نسيت أن هذه هي أول أيام الأجازة وأنكم ستعودون للتدريب على الكاراتيه والجودو من جديد. للأسف أنا نادمة للغاية الآن على جعلكم تلعبون هذه الرياضات العنيفة على الرغم من أنني كنت أول من أخذكم للتمرين من البداية منذ بلغ شريف السادسة. للأسف أنا نادمة جدًا على ذلك."

كنا نحن الثلاثة نعرف متى بدأت أمي تتوجس خيفة من ممارستنا للألعاب القتالية التي كانت من قبل تشجعنا على ممارستها.

وقال مصطفى مهونًا من الأمر: "لقد كانت مرة واحدة فقط التي رأيتها يا أمي حين ضرب أمجد حسام في وجهه بقدمه وأخرج بضع قطرات من الدم من أنفه. لا أفهم يا ماما لماذا تقلقين وتضخمين الأمر هكذا. الحقيقة أنه لم يمت أحد ومر الأمر بسلام."

وصرخت ماما: "مر الأمر بسلام!! لقد صُدمت وفُزعت حين رأيت نافورة دم خارجه من وجه ذلك الولد."

وقال حسن بإستهانة: "هو أصلاً لم يكن هدف أمجد أن يضرب حسام في وجهه."

وصرخت ماما بغضب: "يا سلام!! أنتم تتصرفون كأنني غبية أو لا أفهم. لماذا رفع الولد قدمه إلى وجه الولد الأخر إن لم يكن يريد أن يضربه في وجهه؟ هل كان يريد أن يمشط شعره بقدمه مثلاً؟"

وصاح حسن: "ذلك الفتى الأخرق أمجد كان وقتها قد انضم للتدريب حديثًا ولم يكن يحسن التحكم في حركات رجليه الطويلتين. أطلق

قدمه وضرب دون أن يحدد أي هدف. اصطدمت قدمه بوجه حسام ففتح له أنفه. الأمر بسيط ولم يكن يستدعي بالمرة كل هذا الذعر."

وقلت لها أنا: "هما الآن صديقان حميمان وأصبحا خبيرين في الكاراتيه ولم تترك تلك الحادثة أي أثر على وجه حسام بالمرة."

وأضاف مصطفى بلهجة العارف الخبير: "جزء كبير من الخطأ يتحمله حسام. الولد المضروب. كان واقفًا وقتها وقد ترك يديه متدليتين بجانبه جسمه. لم يكن متخذًا وضع استعداد ولا وضع دفاع ولم يكن مستعدًا لصد أية ضربة أو أي شيء اخر. كان واقفًا هكذا."

ووقف مصطفى ويديه متدليتين إلى جانبه وعلى وجهه نظرة بلاهة مقصودة ليبين لأمي وضع حسام عندما تلقى الضربة.

وقالت ماما: "حاليًا. أنا لا أفهم جدوى هذا اللعب العنيف. فلنفترض أنك في شجار في الشارع وأنك أخذت وضع الدفاع واتضح أن من يخاصمك معه مطواة أو سنجة أو شيء من هذه الأشياء المريعة التي يحملها الناس الآن ويخفونها وسط ثيابهم، بماذا يفيدك معرفة الكاراتيه والجودو؟"

ورد حسن ضاحكًا: "عادي. أصلاً الكاراتيه والجودو يتم تعلمهما في هذه الأيام حتى يصبح لدى الانسان لياقة بدنية Fitness فقط."

وضحكت أنا مثل حسن وقلت: "وهذا طبعًا كي تكون لك القدرة على الجري بشكل أسرع لو أخرج خصمك من ملابسه مسدس أو مقروطة."

ونظرت لي أمي بفزع وقالت: "مسدس أو ماذا؟ مقروطة! ما هي المقروطة؟"

شرحت لها الأمر وقلت: "المقروطة، يا أمي، هي مسدس بدائي يصنعونه في ورش اللحام والحدادة العادية. هذا المسدس يطلق رصاصة واحدة فقط وبعدها لابد من حشوه برصاصة أخرى، وحتى تفعل ذلك يكون خصمك قد قضى عليك. مسدس عملي جدًا."

ونظرت إليّ أمي بفزع وصرخت من هول الصدمة تحدث أخواي: "أخوكم الصغير شريف يعرف شيئًا لا أعرفه أنا شخصيًا، عن مسدس اسمه مقروطة. من أين له أن يعرف بهذه المقروطة؟"

وقال حسن وهو يضحك: "لابد أنه قد درسها في المناهج الدراسية الخاصة به يا ماما."

وجاريته أنا في ضحكه وقلت: "نعم يا ماما. إنه موجود في منهج النحو. أأ ب ت ث جحون .. مقروطة."

وقال مصطفى ضاحكًا: "لا يا حبيبتي. لقد درسناه نحن قبل ذلك في منهج التاريخ. بعد مصر في عصر المماليك يأتي سؤال: "ماهي المقروطة؟"

وصرخت ماما محتدة: "كفى! أنا جادة للغاية في هذه اللحظة وأريد ردًا حقيقيًا على سؤالي."

ورددت عليها وقلت: "الأمر بسيط يا ماما. إنه أحد زملائي. اسمه أشرف ونحن ندعوه "دنجل" وهو ولد عبيط قليلاً ويحب الزهو بنفسه والافتخار بأنه يفعل أشياء خطرة. أحضر مرة مقروطة إلى المدرسة وأراها لنا في الفسحة ولم يكن بها رصاصات ولا ذخيرة أو أي شيء."

وصرخت أمي مصدومة: "ذخيرة!"

ثم سألت أمي سؤالاً جعل قلبي يسقط في قدماي وقالت: "وما هو رأي إدارة المدرسة في ذلك؟"

ورد حسن بجدية محذرًا أمي: "كلا. أي شيء إلا إدارة المدرسة. لا يجب يا ماما أن تعرف الإدارة أي شيء عن هذا الأمر وإلا فإن مظهر شريف أمام زملاءه سيكون سيئًا جدًا وسيمر بأوقات عصيبة وتجارب سيئة باعتباره "واشي" يدل إدارة المدرسة على أخطاء زملاءه."

وأكدت أنا على ما يقوله حسن وقلت لأمي: "كلام حسن صحيح يا ماما. لا أحد يحب أن يتهم بالوشاية وسط زملاءه. سأصبح كالمنبوذ ويعاملني الجميع بشكل سيء ولن يصادقني أحد."

وقال مصطفى مهونًا من الأمر: "يا ماما الموضوع بسيط. "دنجل" هذا ليس ذكيًا جدًا والكل يعرف أنه يحب الاستعراض وأنه يفعل حركات تلفت إليه الأنظار، ولكن لا خطر منه، وقد أحضر هذه المقروطة مرة واحدة ليراها زملاؤه ولا أظن أنه يمكن أن يحضرها ثانية. صدقيني يا ماما. الأمر بسيط."

الفصل الخامس

مصطفى يحكي

المكان الذي يحدث فيه هذا الجزء هو مكتب الجريدة التي تنشر على الموقع الالكتروني "كتالوج مدينة الأزهار". أثثت أمي شقة قديمة قريبة من بيتنا كانت أسرتها تمتلكها قبل زواج أمي من أبي وأصبحت هذه الشقة الآن ملك أمي وخالتي إيمان والتي سمحت لأمي باستعمالها كمكتب للجريدة، وفرشت أمي المكتب بمجموعة من الأثاث الجديد، وفي تلك اللحظة كان بصالة المكتب الرئيسية، كما تسميها أمي، مكتبان بجانب كل منهما كرسي دوار وعدة كراسي أخرى مجاورة للجدار بجانب المكتبين وكان بالغرفة كذلك اريكتين متقابلتين وفي تلك اللحظة كان يجلس أمام المكتبين أمام أجهزة الكمبيوتر Desktops الموجودة على المكاتب كل من دينا وسلمى ابنتي خالتي إيمان.

دخلت المكتب وأنا متعرق بشدة من حرارة الجو ومن المشي على قدمي في الشمس لمسافة طويلة، وألقيت بنفسي وحقيبتي على إحدى الأريكتين وصرخت: "آه. آه. أخيرًا عدت إلى المكتب. لا يمكنكما أن تتخيلا مدى ازدحام الشارع والمواصلات. لقد فقدت بالفعل كل قوة لي على مواصلة العمل."

ونظرت دينا إلى ورقة موضوعة على لوح يعلوه مشبك يربط الأوراق إلى اللوح وسألتني بتحير: "مصطفى. هل كنت في شركة الأجهزة المكتبية أم أين كنت؟"

صرخت فيها معترضًا: "يا إلهي! ما الذي حدث لك؟ أنت من أرسلتني في هذه المهمة. هل أصابك ألزهايمر فجأة؟"

ونظرت لي دينا بصرامة كعادتها. لم يكن اعتراضي هو الرد الذي كانت تتوقعه، ولهذا قللت من كلامي وقلت لها: "نعم. نعم. لقد كنت في شركة الأجهزة المكتبية. وحتى الآن أنا أنهيت في هذا اليوم مشوارين." ورفعت يدي وأشرت لها بأصبعي السبابة والوسطى بعلامة "V" بالانجليزية كي أدلها على رقم اثنين، وقلت لها: "الشوارع مزدحمة ودرجة الحرارة مرتفعة للغاية وقد أنهيت بالفعل مشوارين. الرحمة حلوة." ولما رأيت نظرتها غير المبالية سألتها: "أين ذهبت أمي؟"

وردت سلمى من خلفي تقول: "خالتي هبة ذهبت لمقابلة أحد المسئولين في جهاز إدارة الحي وستعود بعد فترة قصيرة، وحتى بدون أن تسأل سأخبرك أن حسن وشريف قد ذهبا لرجل يريد أن يعلن عن شقة للبيع. هو أراد أن يكون الاعلان الخاص به حوله إطار عريض وبخط كبير وأن يضع على الموقع فيديو مُصور للشقة، وبالطبع كان مستعدًا لدفع المال مقابل اعلان مميز ولهذا أرسلنا له حسن وشريف كي يأخذا منه المال ومواد الإعلان."

وأحسست أنا بالقلق. هل سيرسلونني ثانية. أنا لم أرتح من المشوارين بعد، وسألت سلمى بحذر: "هل هناك شخص أخر طلب منكما أن ترسلوا له مندوب؟"

كانت سلمى تنظر إلى الكمبيوتر وهي تحادثني وقالت: "كلا. حتى الآن لم يطلب منا ذلك أحد. العميل الذي ذهب له حسن وشريف هو آخر عميل طلب منا ارسال مندوب له."

وصحت في فرح: هذا معناه أنني قد حصلت على البراءة. لن أذهب إلى أي عميل بل سأذهب إلى بيتنا لأنام."

وقالت دينا الأكثر صرامة بين البنتين: "يعني. يمكنك أن تعود إلى البيت وتنام لساعتين، ولو أن هناك مهمة جديدة لك فسوف أتصل

على الهاتف المحمول وأمليك عنوان العميل الجديد المطلوب الذهاب إليه. لهذا أحذرك: رجاءًا لا تغلق الهاتف المحمول الخاص بك."

قلت لها وأنا متحفز للدفاع عن حقي: "لماذا؟ لقد ذهب شريف وحسن إلى عميل واحد منذ الصباح أما أن فقد أنهيت مهمتين."

وردت دينا بتعالي من يتهم بفعل شيء لم يرتكبه: "بالضبط، ولهذا أقول لك اذهب ونم ساعتين. سيتم تكليف حسن وشريف بالمهمة التالية التي تأتينا بينما تحصل أنت على المهمة التي تليها. توزيع المهام بالدور ولا يوجد أي ظلم أو محاباة."

خرجت من الباب ذاهبًا للنوم وسمعت من خلفي سلمى تتلقى اتصالاً.

سلمى تحكي

خرج مصطفى من الباب ذاهبًا إلى بيتهم وطبعًا كنت أحس بالتعاطف معه فهو غير معتاد على هذا التعب. منذ بداية الصيف والكل يكد ويتعب لانجاح مشروع الجريدة التي أقامتها خالتي هبة ولكني وجدت أن الذهاب للجريدة هذا ينقذني من السأم طوال النهار وفي الساعة الخامسة حين أبدأ الخروج مع صديقاتي يكون معي المزيد من المال حيث أن خالتي هبة تعطيني أنا ودينا بعض الهبات المالية مقابل عملنا في الجريدة.

تلقيت مكالمة في ذلك اليوم بعد خروج مصطفى، وكان المتحدث هو حسن.

قال حسن: "ألو. سلمى. أهذه أنت؟ أنا حسن. لقد أنهيت أنا وشريف المهمة التي أرسلتمانا إليها في الحي الثامن. العميل سلمنا المبلغ المالي مقابل الإعلان والمواد الإعلانية المطلوب وضعها على

الموقع. أنا في الحي الثامن الآن. هل هناك مهام أخرى يجب علينا آدائها أنا وشريف."

وطبعًا من مكانه في الحي الثامن كان يمكن أن يستطلع إمكانية القيام بمهمة في مكان قريب من مكان تواجده، وإن كنت أنا شخصيًا لم أكن وقتها متأكدة من المكان الذي سيتسلم منه الإعلان، وقررت أن أحكي لحسن الموضوع وأترك له القرار في الأمر برمته فحسن حصيف ويعرف ما ينبغي عمله في كل موقف.

قلت له على الهاتف: "نعم يا حسن. لقد جاءتنا مهمة جديدة ولم تأتنا مهمة في نفس الوقت."

وصاح حسن على الهاتف وهو يبدو متعبًا وقليل الصبر: "ماذا! هل تمزحين؟"

ورددت عليه: "كلا. بالطبع أنا لا أمزح. هناك نوع من اللبس. هناك سكرتيرة من شركة اسمها شركة الحي الثامن الهندسية طلبت أن نرسل لها مندوبًا."

وقال حسن: "إذن. الأمر بسيط. أين يريدون أين يذهب إليهم المندوب؟"

وطبعًا كان المشكلة في هذه النقطة بالذات، ورددت عليه قائلة: "المشكلة أن هذا هو أول يوم عمل للسكرتيرة ويجب أن يتم تسليم الإعلان بشكل عاجل ولكن الاعلان وأجره ليسا معها، وهي لا تستطيع الاتصال برؤساءها فهواتفهم مغلقة أو هم لا يردون عليها. هي لا تعرف أين يجب أن نرسل المندوب. هل يجب أن يذهب المندوب إلى المقر الرئيسي للشركة حيث تتواجد هي أم يذهب إلى فرع أخر للشركة؟ أنا بحثت على الانترنت ووجدت أن هناك فرع

أخر للشركة على بعد خطوات من المكان الذي تتواجد أنت فيه الآن."

ورد حسن: "إذن فمن الأفضل أن أذهب أنا وشريف إلى ذلك الفرع وأسأل إذا ما كان تسليم الإعلان سيتم هناك بدلاً من أن نعود إلى مكتب الجريدة ثم اضطر إلى العودة ثانية للحي الثامن للحصول على الإعلان."

بعد ذلك دخلت خالتي هبة وهي تحمل بعض الأوراق داخل دوسيه وقد علقت في رقبتها الكاميرا الديجيتال الجديدة التي اشترتها لأعمال المجلة. لم تكن خالتي هبة تجيد التصوير في الطبيعة أو خارج المباني ولكن كان يمكنها أن تنتج صورًا محترمة لأشخاص داخل مكان محاط بالجدران، وكانت تعتمد على مصطفى وشريف في التصوير الخارجي للمجلة.

كانت خالتي هبة تبدو متعبة وتتعرق بغزارة وألقت بنفسها على إحدى الاريكتين وألقت برأسها إلى الخلف كما لو كانت لا تصدق أنها عادت وارتاحت أخيرًا.

واحسست بالاشفاق عليها وأحضرت لها زجاجة مياه باردة من الثلاجة حتى دون أن تطلب هي ذلك. ورشفت خالتي رشفتين ثم قالت: "الحمد لله. أنت ملاك يا سلمى. لم أكن لأعرف ماذا أفعل بدونك وبدون دينا."

وسألتها: "لقد ذهبت إلى مكان المفروض أنه قريب من هنا. ماذا حدث؟"

وردت خالتي هبة باستفاضة: "صباح البيروقراطية والروتين. البيه المسؤول تركني أنتظر ساعتين في مكتب سكرتيرته غير المكيف وكأن المسكين من كثرة عمله لا يكاد يجد وقتًا لمقابلتي. المهم في

النهاية سمح لي بمقابلته في مكتبه المكيف والمفروش جيدًا. أجريت معه لقاءًا صحفيًا وأخذت له حوالي عشرين صورة."

ثم ابتسمت خالتي وقالت: "ولكن على الرغم من تذمري هذا فقد دفعوا مبلغًا جيدًا وقالوا أنهم سيدعمون جريدتنا ويوافوننا بالأخبار الجديدة كلما كانت لديهم أخبار يحبون الإعلان عنها، ووعدتهم أنا بمقال صحفي جيد مرافق لحواري مع المسئول ومُصاغ بطريقة تعطي صورة إيجابية عن المسئولين في جهاز حي مدينة الأزهار."

أعطت خالتي هبة الكاميرا لأختي دينا وقالت لها: "دينا الجميلة. اختاري يا حبيبتي أجمل صورة للمسئول وحده وأجمل صورة لي معه وسوف نضع الصورتين على الموقع وقومي بتفريغ الكلام الذي قاله المسؤول وانسخيه وضعي الصور في أماكن مميزة بجانب المقال. أضيفي جمل جذابة لوصل أجزاء الموضوع وأعرضيه علي قبل وضعه على الموقع."

دخل بعد ذلك مصطفى في حالة من النشوة والسعادة. كان واضحًا أنه قد استحم وغير ثيابه وكان ممسكًا في يده قطعة من المثلجات يلعقها.

وحين رأى مصطفى خالتي هبة وهي متعرقة وتبدو متعبة سألها: "ما هذا؟ هل أتيت لتوك يا ماما؟ لماذا؟ الهيئة الحكومية التي قصدتها قريبة من مكتب الجريدة وأنت ذهبت في الصباح ولم يكن هناك ازدحام مروري."

وكررت خالتي هبة شكواها وقالت: "البيه المسؤول. تركني ساعتين في مكتب السكرتيرة أنتظر قبل أن يتكرم ويسمح لي بالدخول على فخامته ويبدأ الحوار معي."

وانبرى مصطفى يستعرض أفضل انجازاته فقال: "لقد قمت بآداء مشوارين. اثنين." ورفع مصطفى يده وباعد بين اصبعيه السبابة والوسطى للدلالة على الرقم "٢" وقال لأمه: "هه. هه. مشوارين وبعدها ذهبت إلى البيت وها أنا قد عدت للعمل. أي شاب نشيط أنا! بمجرد أن استرحت عدت للعمل وكلك نظر."

وصاحت خالتي هبة: "ألا تشبع أبدًا؟ إياك أن تقول أنك تريد مالاً."

الفصل السادس

سلمى مازالت تحكي

فجأة دخل كل من حسن وشريف وهما مقطبي الجبين ويبدو عليهما الضيق الشديد. جلس حسن على الأريكة في مقابل خالتي هبة بينما تسلق شريف أحد الكراسي الدوارة وجلس عليه وهو متجهم ونظرت خالتي هبة إلى وجهيهما وسألت بقلق: "ماذا حدث؟"

ورد حسن: "إنه العنوان الذي أرسلتنا إليه سلمى."

وصمت حسن بعد ذلك، ويبدو أن هذا الرد الغامض قد ضايق خالتي هبة والتي قالت محتدة: "مال العنوان؟ تحدث بسرعة وخذني إلى لب الموضوع. لا تتحدث بالتنقيط. ما الذي حدث؟"

وقال حسن: "عندما ذهبنا إلى العنوان الذي أرسلتنا إليه سلمى وجدنا فيلا كبيرة يحيطها سور عالي وفي الأمام بوابة حديدية عالية ذات مصراعين. ضربت الجرس عدة مرات دون أن يجيبني أحد ولكني استمررت في دق الجرس، وبعد فترة فتح لنا الباب رجل ضخم الجثة يبدو وكأنه قبضاي أو بلطجي وصرخ بنا الرجل."

حسن بدأ يحكي للمجموعة الموجودة في الجريدة ماذا حدث وكأنه فلاش باك **flashback** "حكاية لأحداث حدثت من قبل يتذكرها الحاكي أو القاص.":

قال حسن: "الرجل كان يقف خلف ضلفتي البوابة الحديدية العريضتين وكان يمر داخل فتحات الباب من الداخل سلسلة حديدية عريضة وقف الرجل خلفها وسأل بغضب: "ماذا هناك؟"

حسن: "ورددت عليه: "أليس هذا المكان تابع لشركة الحي الثامن الهندسية؟"

حسن: "وصاح الرجل: "كلا. إنه ليس تابعًا لها."

حسن: "وطبعًا كان هذا الجواب غير معقول ففي كل مواقع الشركة على الانترنت يوجد عنوان ذلك المكان كفرع للشركة. واستنتجت من ذلك أن البواب لا يعلم، وقد يكون البواب جديدًا في العمل بالشركة، وبالتالي المفروض أن يدعو لنا من هو أرفع شأنًا منه في الشركة كي يقابلنا ويخبرنا عن الإعلان، ولهذا صحت في الرجل: "كيف؟ إذن أنت لا تعرف أي شيء عن الشركة. هل يمكنني أن أحدث المدير؟"

حسن: وقال لي الحارس: "لا يوجد في هذا المكان أحد غيري."

حسن: "وكما لو كان قد ظهر لتكذيب البواب، رأيت من بعيد من وراء الحارس الذي يحدثني رجل ضخم أخر وهو يدفع أمامه صندوق بلاستيكي كبير يستعمل عادة كسلة للمهملات وكان الصندوق محملاً على عربة بها عجلتين وتدفع باليد، وسرعان ما اتجه الرجل الضخم إلى الجانب الخلفي خلف الفيلا والمبنى الأخر الموجودين داخل السور ولم أعد استطيع أن أراه، ولكن ليس قبل أن أشير للحارس والذي رأى الرجل يدفع ذلك الصندوق."

حسن: "وأخرجت الهاتف النقال الخاص بي وفتحته على الرابط الذي أرسلته لي سلمى وقلت وأنا أحدث البواب وإن كنت قد حرصت على أن تكون نبرتي هادئة وخالية من العدائية: "انظر هنا على مواقع الشركة على الانترنت. كلها تشير إلى هذا المكان كفرع من فروع الشركة."

حسن: "ترك الرجل مكانه خلف البوابة وفتح باب البوابة فتحة واسعة ليخرج وبذلك سقطت السلسلة التي كانت ممتدة بين فتحتي الباب داخل البوابة الحديدية واتسعت وخرج الرجل وأخذ يحملق في

الهاتف المحمول الخاص بي وأنا أريه موقع الشركة على الانترنت وبه عنوان ذلك المكان كفرع."

حسن: "نظر الرجل إلى العنوان على الهاتف المحمول الخاص بي وقال: "حسنًا. افترض جدلاً أن هذا المكان هو فرع لشركة الحي الثامن الهندسية، وما شأنك أنت؟"

وقلت له: "الشركة اتصلت بنا. نحن نصدر مجلة على الانترنت وقد طلبت منا الشركة أن نرسل لهم مندوبًا ليضعوا على موقع جريدتنا إعلان. طلبوا ارسال شخص لأحد مقرات الشركة كي يسلموا المندوب مواد الإعلان والأجر عن ذلك الإعلان."

حسن: "وقال الرجل محتدًا وكأنه يكذبني: "وهل قالت لكم الشركة أن ترسلوا المندوب على هذا العنوان؟"

حسن: "وقلت له وقد أحسست بضعف موقفي: "كلا. السكرتيرة التي حدثتنا على الهاتف لم تكن تعرف العنوان، ولكن أحدًا لم يعطيها مواد الإعلان وأجره كي تعطيهم لنا. مديروها فقط أمروها بالاتصال بنا وطلب ارسال مندوب. نحن بحثنا على الانترنت ووجدنا هذا العنوان مسجل كفرع للشركة فقلنا أنه ولابد هذا هو العنوان المقصود. هل لك أن تسألهم في الداخل من فضلك إن كان أحدهم قد طلب ارسال مندوب من عندنا."

حسن: "وصاح الرجل فورًا ودون أن يدخل إلى داخل الفيلا لسؤال أي شخص: "كلا. ليس هذا هو العنوان المقصود. هنا مجرد مخازن والموجودون في الداخل كلهم عمال لا يعرفون شيئًا عن الإدارة. الإعلانات يتم التفاوض بشأنها في مقر الشركة الرئيسي عند السكرتيرة."

ونظر الرجل حوله وقال: "أين الولد الصغير الذي كان يقف بجانبك؟"

حسن: "التفت أنا إلى جانبي ولم أجد شريف ونظرت إلى داخل الساحة الموجودة ضمن السور والتي تقع فيها الفيلا وذلك المبنى الأخر ورأيت شريف واقفًا وسط الساحة متسمرًا في مكانه وكأنه ينصت لشيء. "

حسن: "وصرخ الحارس باهتياج: "يا نهار أسود! يا نهار أسود! ما الذي جعله يدخل إلى الساحة؟ ما الذي تريدانه بالضبط؟"

حسن: "أسرع الرجل يجري نحو شريف ودفع الرجل شريف في صدره وتراجع شريف خطوتين للخلف كرد فعل للدفعة كي يستوعبها ولا يسقط على الأرض، وظل شريف واقفًا على قدميه وإن كان قد تراجع بشكل إرادي بعد ذلك وجعل هناك مسافة بينه وبين الرجل ثم كور قبضتيه كما تعلمنا في تمارين الكاراتيه ودفع بإحدى ساقيه للأمام واستعد ليتحرك نحو الرجل متحفزًا للضرب لو استمر الرجل في عدوانه."

حسن: "ولكني كنت قد دخلت متحركًا خلف الرجل، وإن كنت لم أتوقع أن يقوم الحارس بدفع شريف في صدره، وتحركت بسرعة لأقف بين الحارس وبين شريف واستعددت للقتال وإن كنت لم أتخذ وضع الاستعداد للهجوم كما فعل شريف ولم أكور قبضتي ولكني كنت جاهزًا لركل الرجل أو توجيه ضربة قوية إلى وجهه لو تحرك ضدي، ولكني لم أشأ أن اظهر عداءًا صريحًا تجاه الرجل حيث أنني كنت آمل أن تكون المواجهة حوارية بالكلام، وصرخت في الحارس محتدًا: "ما الذي حدث؟ إنه طفل وأخطأ. وهل دخل حرمًا مقدسًا؟ إنها مجرد ساحة مخازن خالية ليس بها شيء. ما هي المشكلة؟"

حسن: "وصرخ الرجل: "لقد دخل دون إذنٍ مني. غافلني ودخل وأنت الهيتني وشغلتني كي يدخل دون أن أراه."

حسن: "وصرخت بحدة في الرجل: "دخل ليفعل ماذا؟ هل أنت مجنون؟ ما هي نظرية المؤامرة هذه؟ ماذا يمكن أن يفعل أي إنسان في ساحة خالية كهذه؟ هل تريد أن تضرب طفلاً لأنه دخل إلى ساحة خالية؟"

حسن: "كان الرجل غاضبًا ومتوترًا إلى درجة الهستيريا وكان يحاول أن يتخطاني ليمسك بشريف والذي كان يحتمي خلفي من الرجل."

حسن: "ودفعت الرجل في صدره دفعة قوية لأبعده عني وتوقف هو حين دفعته بينما وضعت أنا بيني وبينه مسافة تسمح لي بالتراجع إلى الخلف كي أتقدم إلى الأمام وأمد ساقي لركله بعد ذلك. كذلك حرصت على ترك مسافة كافية لإعطاء أطول مسافة كي أضع قوة كتفي وراء لكمتي إن لكمته، وصرخت فيه: "إذا أردت أن تضرب أحدًا فأنا أمامك. أرني قوتك."

حسن: "وصاح الرجل كما لو كانت أصابته نوبة جنون وهو يشير إلى البوابة المفتوحة للساحة: "اخرجا فورًا من هنا. اخرجا فورًا من هنا."

حسن: "ودفعت شريف أمامي نحو البوابة المفتوحة لتلك الساحة الخالية وأنا أتحرك بجانبي دون أن أعطي ظهري للرجل حيث كنت أخاف أن يهاجمني من ظهري وقلت لشريف: "تحرك نحو البوابة يا شريف. هيا بسرعة."

حسن: "وما إن أصبحنا أنا وشريف خارج بوابة الساحة حتى انصفق الباب الحديدي خلفنا بصوت مدوٍ وسمعت الرجل يجذب السلاسل بسرعة ويبدو أنه يعيد تركيب قفل عليها."

أنهى حسن روايته، وفي صالة الجريدة كان الجميع في حالة غضب شديد وهم يستمعون إلى ما فعله ذلك الحارس، وصرخت خالتي هبة في غضب: "هل تعني أنه دفع شريف إبني في صدره بقوة. يا له من حيوان. ألم ير أن شريف هذا مجرد طفل صغير؟"

وأسرعت خالتي إلى شريف واحتضنته وهي تقول: "يا حبيبي! هل ضربك الرجل؟"

وطبعًا شريف كان في بداية ما يدعي هو أنها مرحلة الرجولة، ولم يكن يحب أن تحتضنه خالتي هبة أو تظهر له مشاعرها أمام الناس، ولاشك أنه قد تضايق لأن الكل يشير له بلفظ "طفل" ولهذا قال لخالتي بطلاقة مطمئنًا لها: "كلا يا ماما. إنها دفعة صغيرة في صدري وأنا لم يحدث لي شيء ولكن الرجل كان قويًا جدًا. أنا فقط خفت أن يشتبك معه حسن."

وأحست خالتي بما يعتمل في صدر شريف من حرج ولهذا ابتعدت عنه قليلاً وقالت: "هل أنت واثق أنك بخير؟"

ورد شريف ضاحكًا: "بالتأكيد يا أمي. لقد أصبحت رجلاً كبيرًا ودفعة كهذه لا يمكن أن تؤثر في."

وقالت دينا والتي هي عادة متزمته وتتهم أولاد خالتها بالتسيب: "أنا رأيي أن شريف قد استحق ما حدث له. ما لم يأذن لك أحد بالدخول إلى مكان ما، فلا يجب أن تدخله. هذه قاعدة عامة عليك الالتزام بها."

ورد شريف: "المكان كان مكتوبًا عليه من الخارج "مخازن" ولكن في الداخل كان هناك صوت اعتدت أن أسمعه في سياق ما. صوت ماكينة ما. وعندما سمعت ذلك الصوت أحسست أنني أريد أن أعرف مصدره وأن أتذكر ما هي الآلة التي تصدر مثل ذلك الصوت، ولم أكن أظن أن أحدًا سيمانع في دخولي إلى تلك الساحة فكل المباني الموجودة فيها مغلقة الأبواب والنوافذ وأنا لم أدخل لأسرق. لا يوجد أصلاً أي شيء يُمكن أن يُسرق، فقط الأرض والمباني المغلقة، ثم إن المفروض أن ذلك المكان هو فرع لشركة تجارية وليس شقة خاصة أو غرفة نوم مثلاً. المفروض أنه مكان يتردد عليه الناس بشكل عادي وقد دخلت إلى الساحة الخالية ولم أفعل شيئًا. فقط جذبني الصوت."

وقلت أنا: "الأمر برمته غريب يا خالتي. المفروض طبقًا لكلام حسن وشريف أن المكان هو مساحة خالية داخل سور داخلها فيلا ومخازن. ما الذي يمكن أن يُغضب الحارس هكذا حين يدخل طفل مثل شريف إلى تلك الساحة الخالية؟"

وقال مصطفى: "فعلاً. الأمر غريب حقًا. لابد أن هناك نشاط اجرامي يحدث في ذلك المكان وإلا لما تصرف ذلك الرجل بتلك الحدة والعدوانية."

وردت خالتي باستهانة مفسرة الأمر: "لا يوجد أي شيء غريب في الأمر. في هذه الأيام حين يوظفون شخصًا كحارس فإنهم عادة يختارون شخصًا عدوانيًا وغبيًا بلا عقل، وكأن الغباء يوفر حماية أكبر للمكان."

وأردفت خالتي بعدوانية وخشونة: "إنما نحن سنفعل الواجب. أنا سأهدم الدنيا على رأس تلك الشركة ومديريها. أين عنوان مكاتب تلك الشركة يا سلمى؟ أنا سأذهب إليهم وأسمع المدير توبيخ وإهانات لم يسمعها في حياته. حين يقومون بتوظيف شخص غبي

يضرب الأطفال، فعليهم أن يكونوا مستعدين لتلقي نصيبهم من ردود الفعل على تصرفات حارسهم ذاك. سأكتب كذلك مقالاً أنتقد فيه الشركة ومديريها وسأذكر أسمائهم في المقال وسأضع هذا المقال على الانترنت وليقاضوني إن أرادوا. وسأضع نفس المقال في طبعة الجريدة الأسبوعية التي أعمل بها في عدد هذا الأسبوع، وكذلك سأسجل محضرًا ضد مدير هذه الشركة في قسم الشرطة. فقط يا سلمى أعطني عنوان مكتب الشركة وأنا سأتصرف حالاً."

طبعًا كانت خالتي هبة من النوع الذي يقول عنه الأجانب أنها لا تسمح للحشائش أن تنمو تحت قدميها بمعنى أنها تتحرك كثيرًا وفورًا وقلبها حامي لا تؤجل عمل لحظة للحظة التي تليها.

ولكن شريف أوقف خالتي بقوله: "محضر في قسم الشرطة ومقالات ضد الشركة! لماذا يا ماما؟ هذه مبالغة في رد الفعل. إنه مجرد شخص متخلف دفعني في صدري وأنا لم أصب بجرح وحتى لم أتضايق. أنا فقط تعجبت من تصرفه أي أنه بالفعل لم يحدث شيء. لا تضايقي نفسك يا ماما. الأمر لا يستحق."

وصاحت دينا من خلفي: "وأنا رأيي أن إعلان في اليد خير من عشرة إعلانات لم تأتنا بعد. أنا رأيي أن نتصل بالشركة ونسألهم أين يريدوننا أن نرسل لهم مندوب الإعلانات وأن يذهب مندوبنا إلى الشركة ويحصل على أجر الإعلان وأن ننشر إعلانهم على جريدتنا. ليس مدير الشركة هو من دفع شريف في صدره. إنه مجرد غفير أو حارس يعمل لدى الشركة، والكثير من الشركات، كما قالت خالتي هبة، تختار عمدًا أشخاصًا أغبياء لهذه الوظائف يمكننا أن نتوقع منهم مثل هذا السلوك العدائي، ويمكن، على فكرة، ألا يكون المدير قد قابل هذا الغفير ولو مرة في حياته بل ترك عملية التوظيف لأحد معاونيه من غير ذوي المراتب الرفيعة في الشركة."

وأردفت دينا بلهجتها الواثقة في أن آرائها صحيحة، ربما بدرجة أكبر مما يجب أن تثق به في الواقع: "تصرفات هؤلاء العاملين الصغار لا تنعكس على الشركة خاصة أن شريف يبدو أنه قد أحس بخطأه ولعل هذا يكون درسًا له ألا يدخل إلى أماكن لم يتم دعوته لدخولها، وشريف، على أي حال، قد سامح الرجل والأمر بسيط."

الفصل السابع

شريف يحكي

ذهبنا أنا وأخواي حسن وشريف إلى غرفة نومنا وهي أوسع غرفة بالبيت وبها ثلاث أسرة بين كل منها والأخر كومودينو "كومود" له درج ومساحة مفتوحة تحته، وطبقًا لأوامر ماما، يضع كل منه أحذيته ونعاله بشكل مرتب في المساحة الواسعة تحت الدرج داخل الكومودينو. أمام الآسرة بعد مسافة صغيرة توجد ثلاثة مكاتب متوسطة الحجم متلاصقة وأمام كل مكتب كرسي دوار، وهذه المكاتب مخصصة لنا للمذاكرة بالطبع وعلى الجدار بجانب الباب توجد ثلاث خزائن (دواليب) متوسطة الحجم، وكل منها منقسم لجزئين، جزء به علاقات لتعليق الملابس والجزء الأخر به أرفف لوضع الملابس مرتبة فيه، وفي الأسفل هناك درج مغلق تحت الأرفف لوضع الأشياء التي نحتاجها فيه.

كان حسن ومصطفى جالسين على سرير مصطفى الموجود في الوسط من الجانب الذي يجاور سرير حسن. جلست أنا على سرير حسن وجاءت لحظة المصارحة بيني وبينهما فقلت لهما: "أنتما الآن الكبار في عائلتنا ولهذا أنا ألجأ إليكما كي تردوا لي حقي من ذلك الحارس الذي دفعني في صدري وكاد يضربني اليوم."

ورد مصطفى مستهزئًا: "ماذا؟ تريد حقك! ألم تقل أمامنا في هذا اليوم في صالة الجريدة أنك قد سامحت الرجل والأمر بسيط. أليست لك كلمة يمكن الاعتماد عليها؟"

أنا كنت أتوقع بعض المعارضة ولكني كنت واثقًا من أنني سأتجاوز هذه النقطة ورددت على حديث مصطفى: "كلا. أنا لم أقل أنني قد سامحت الرجل، وقلت أن الأمر بسيط وبدوت وكأنني قد سامحت

الرجل لأنني خفت أن تقلق أمي وأن تتورط في عداء مع أشخاص مجرمين ولكني في الواقع لم أسامح الرجل. أريد حقي."

وقال حسن وهو يبدو وكأنه يجد ما أقوله سخيفًا: "ماذا تعني أنك تريد حقك. ألم تر كم أن الرجل الذي كدنا نشتبك معه اليوم بسبب تصرفك الطائش هو قوي وشرس. هل تريدنا أن نمسك به ونضربه مثلاً؟"

ورددت على حسن: "لا. أنا أريد أن أفعل ما كان الرجل يخافه وما يريد هو ألا أفعله. أريد أن أعرف ماذا يحدث داخل ذلك المكان."

ورد حسن: "وماذا يمكن أن يحدث في ذلك المكان. المكان مكتوب عليه "مخازن" ولابد أن المباني الموجودة في ذلك المكان تستخدم لخزن أو تشوين بضاعة أو شيء ما. هل تريد أن تعرف ما هي الأشياء المخزنة؟ وبم يفيدك ذلك؟"

وقلت له: "عندما دخلت إلى الساحة كان هناك صوت اعتدت سماعه في سياق ما، ولكني لا أعرف ما هو. أريد أن أعرف."

وقال مصطفى باستخفاف: "إذهب يا ولد وكف عن أفكارك الصبيانية."

ورددت على مصطفى مقارعًا له: "أنت نفسك قلت اليوم أمام أمي والبنتين أنه ولابد أن هناك نشاط اجرامي يحدث في ذلك المكان."

ورد مصطفى: "وما شأننا نحن؟"

ورددت عليه: "كيف! ألم تقل أمي أن جزءًا هامًا من جاذبية موقعنا على الانترنت أنه سيكشف جرائم جديدة تحدث في مدينة الأزهار. هاهي ذي جريمة وجدناها بأنفسنا. لابد أن نحقق فيها ونضع نتيجة التحقيق على موقعنا على الانترنت."

ورد حسن وهو يتعمد الحديث ببطء وكأنه يحدث شخص متخلف عقليًا أو بطيء الفهم: "يا شريف يا حبيبي. أنت نفسك قد رأيت ذلك الحارس ورأيت كم هو غضوب وشرس. ليس من الحكمة مواجهة ذلك الرجل مرة أخرى فلو رآنا ثانية لفتك بنا والأمر برمته قد انتهى. أنا شخصيًا لن أذهب إلى ذلك المكان ثانية."

ورددت عليه وأنا أنظر إليه وإلى مصطفى بنظرة لها مغزى: "إذن أنتما قررتما أن الأمر قد انتهى بينما قررت أنا أن الأمر لم ينتهي بعد. سأتصرف بنفسي ولا يلومني أحد بعد ذلك. لقد امتنعتما عن مساعدتي ولكن هناك أخرون يمكنهم مساعدتي وسألجأ إليهم. ليس أمامي الآن من مخرج سوى أن أذهب إلى صديقي فؤاد عباس وفرقته وأطلب منهم المساعدة في معرفة ما يحدث داخل أسوار ذلك المكان."

فؤاد عباس كان زميلي في المدرسة في نفس الصف الدراسي وإن كان يكبرني بعامين. في سن السادسة قبل أن يلتحق فؤاد بالمدرسة حدثت له حادثة سيارة تسببت في جراح شديدة أصابت ساقيه وأدى ذلك إلى تعطيل التحاقه بالمدرسة لمدة عامين نتيجة للعلاج وانتقاله للعلاج ما بين مكان وأخر، وبهذا فحين التحق فؤاد بالمدرسة بالصف الأول الابتدائي كان عمره في الثامنة بينما كان عمر زملاءه جميعًا في السادسة. كان فؤاد طويل القامة من الأصل وقد زاده الله بسطة في الجسم وبالتالي كان الأطول والأكثر ظهورًا وبروزًا بين زملاءه.

في بداية التحاقه بالدراسة في الصف الأول الابتدائي كان فؤاد يحس بالحرج لأنه أكبر بعامين من بقية زملاءه، ولكن سرعان ما اختفى احساسه بالحرج حين أدرك أن كبر سنه وجسمه جعله القائد الطبيعي لزملاءه في أي فصل دراسي التحق به ونقطة تركيز المدرسين عند حديثهم إلى الفصل بل أصبح فؤاد هو الواسطة التي تتحدث بلسان التلاميذ أمام المدرسين والمدرسات، ولما كانت

شخصية فؤاد جذابة بطبعها فسرعان ما تحلقت حوله قلوب زملاءه وأصبح حَّلال العقد للجميع، فكل من لديه مشكلة من التلاميذ أصبح يلجأ بمشكلته إلى فؤاد عباس وأصبح فؤاد يجتهد في حلها.

والآن ونحن في الصف الأول الإعدادي اجتمع حول فؤاد مجموعة من الأولاد في الصف الأول الأعدادي وهو يعرف معظمهم من الصف الأول الابتدائي حيث أنهم زاملوه على مقاعد الدراسة عبر السنين وكانوا يسمون أنفسهم "المغامرون" بينما كان غيرهم يسميهم "فرقة فؤاد عباس" وقد انضممت أنا إليهم في بعض المغامرات الصغيرة التي مروا بها.

ورد علي مصطفى متهكمًا وقال: "فؤاد عباس هذا ولد صغير وكل من معه من الأولاد بخلافه هم أطفال في سن الثانية عشرة أي في سنك. هم أطفال لا يمكن تمييزهم من الأرض من فرط صغر سنهم وصغر أحجامهم ولا يمكن الاعتماد عليهم مطلقًا. لو تسللتم إلى ذلك المكان فسيقبض عليكم ذلك الحارس الشرس والموجودون داخل الفيلا ولا أحد يعرف وقتها ماذا سيفعلون بكم. لو دخلتم إلى تلك الفيلا فستموتون جميعًا لا محالة."

ورددت عليه: "وماذا بيدي أن أفعل؟ أنتما لم تتركا لي خيارًا أخر سوى الاعتماد على فؤاد عباس وفرقته."

طبعًا أنا كنت أعرف أنه لا يمكنني أن أعتمد على فرقة فؤاد عباس في دخول الفيلا ففي وقت الجد هم جميعًا أطفال وقد يهربون ويتركونني في أيدي العصابة، بينما طبعًا أخواي لن يفعلا ذلك، وهما واسعا الحيلة ولديهما درجة عالية من الاصرار، فهما يحاولان مرة تلو المرة وكل من أخواي يؤمن أنه لو حاول ثانية لأدرك بغيته وذلك كل مرة.

ونظرلي حسن وهو يظهر الغضب وقال: "كن عاقلاً يا شريف، وانزع هذه الأفكار الغبية من رأسك وإلا فسأخبر ماما."

ورددت عليه متحديًا: "وماذا ستفعل ماما؟ هل ستربطني في رجل السرير مثلاً؟ حين تقول لي ماما أن أكف عن الأمر فسأتظاهر أنني اقتنعت وأترك الأمر لفترة ثم سأعود لنفس الموضوع وأنفذ خطتي لدخول الفيلا وحتى إذا تحدثت ماما مع أولياء أمور أعضاء فرقة فؤاد عباس فسنتفق جميعًا أن نتظاهر أمام أمهاتنا وأباءنا أننا قد نسينا الأمر ثم سنعود إليه وندخل الفيلا."

وقل حسن: "أرى أنك قد فكرت في كل شيء."

وقلت له: "أنت وهو تستهزئان بي ولكن أنا وأنتما نعرف فؤاد عباس وفرقته وأنتما تعرفان أنهم سيساعدونني لو طلبت مساعدتهم لدخول الفيلا، بل وسيتحمسون للأمر وسيرغبون بشدة في الاشتراك فيما سيسمونه "مغامرة جديدة" ولكن طبعًا أنا أعترف أنه معهم لا يمكن ضمان النتيجة."

وصرخ مصطفى في غاضبًا: "بل يمكنك يا كتكوت ضمان النتيجة، وستكون النتيجة أنكم ستقتلون جميعًا في تلك الفيلا. أنت مجنون. هذه المغامرة ليست مثل المغامرات الأخرى التي دخلت فيها فرقة زفت. حسن يقول أن الحارس شرس جدًا وخطير. لماذا تفعل هذا؟ هل تريد أن تموت وتؤدي إلى موت أخرين معك؟"

وردت عليه بهدوء وببساطة شديدين: "أنا فقط أريد أن أعرف لماذا تصرف الحارس بذلك الذعر الشديد عندما دخلت أنا إلى تلك الساحة الخالية؟ لم يكن هناك أي شيء موجود فيها وكانت كل الأبواب والنوافذ في تلك الفيلا والمبنى الأخر مغلقة ولكن الرجل تصرف بعدوانية وكأنه يحمي كنزًا."

وأردفت قائلاً وأنا أظهر الاصرار في صوتي وفي نظرتي: "أنا قررت أن أعرف ما يخفونه في تلك المباني داخل ذلك السور وسأعرف وإن لم تذهب معي فرقة فؤاد عباس فسأذهب وحدي. أنا قادر تمامًا على تسلق ذلك السور العالي. سأدخل إلى الفيلا وليكن ما يكون."

ورد علي حسن بجدية وقال: "حسنًا يا شريف. أعطني أربع وعشرين ساعة فقط كي أفكر في الأمر وأرد عليك. هذه الأمور الصعبة مثل التسلل إلى الفيلا لا يمكن اتخاذ قرار بشأنها بشكل فوري هكذا. لابد أن أفكر وأدبر أموري ولكن عدني أنك لن تفعل أي شيء ولن تحدث أي شخص بشأن هذا الأمر خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة."

ورددت عليه بجدية مماثلة: "وعد شرف أنني لن أفعل أي شيء ولن أتخذ أي خطوات خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة ولكن أنت يجب أن تأخذ الأمر بجدية وأن تفكر فيه."

وقال حسن: "اتفقنا."

ضربت قبضتي من الأمام في قبضة حسن كما رأيناهما يفعلون في الأفلام الأمريكية دلالة على الاتفاق وغادرت الغرفة.

الفصل الثامن

مصطفى يحكي

تركنا شريف في الغرفة بمفردنا أنا وحسن وقلت لحسن مهنئًا: "برافو عليك يا حسن. الحمد لله أنك قد أخبرته أنك ستفكر في الأمر. آمل أن ينشغل شريف ببعض أموره عن هذه المسألة وسرعان ما سينسى الأمر بالكامل ونرتاح منه."

وفوجئت عندما رد علي حسن بجدية شديدة قائلاً: "ينسى! من هذا الذي سينسى؟ أخوك شريف أنت تعرفه جيدًا. لا ينسى أي شيء ويتشبث بأي موضوع يركز عليه كما لو كان شريطًا لاصقًا."

ورددت عليه باستهانة وأنا أهز كتفاي للأعلى معربًا عن عدم اهتمامي بالنتيجة وقلت له: "إذن، فمن يبالي؟ من يحمل جرة مثقوبة فستصب الماء على رأسه. فليفعل ما يشاء، وليذهب إلى فرقة فؤاد عباس إن شاء أو إلى الشيطان. لا أحد يبالي بما يفعله."

ورد علي حسن محتدًا: "هل أنت مجنون؟ هل ستترك أخاك يذهب إلى فرقة فؤاد عباس. لو نفذت فرقة فؤاد عباس شيئًا كهذا فسيحدث ما تنبأت به أنت بالضبط. سيتم القبض عليهم جميعًا، ومن يدري لعلهم يدفنون هؤلاء الأطفال الصغار في تلك الساحة المهجورة في الليل في الظلام دون أن يراهم أحد."

وأدهشني قول حسن هذا. إذن فماذا سنفعل. لا أصدق أن حسن يرغب في أن ننضم إلى ذلك الطفل المجنون شريف.

ورددت على حسن متوجسًا: "وماذا ستفعل أنت؟"

ورد حسن علي قائلاً: "لا يوجد حل إلا أن ندخل معه إلى الفيلا. وقتها فقط يمكننا أن نضمن وضع خطة جيدة لتأمين الدخول

والخروج من تلك الفيلا، وأن نرتب أمورنا بحيث يكون هناك خارج الفيلا من يعرف بدخولنا إليها ويرتب لإنقاذنا إذا تم القبض علينا داخل الفيلا."

ورددت على حسن وأنا أضرب كفًا بكف: "هذا هو الجنون بعينه. شريف الذي هو طفل في الثانية عشرة من عمره ولا يعرف مصلحته يريد أن يدخل فيلا داخل سور بشكل غير قانوني وأنت تريد مساعدته. لابد أنك قد أصابك خبل. أنا لا شأن لي بهذا الأمر ولن أتدخل فيه."

وصاح في شريف محتدًا: "ماذا! لا شأن لك. ألا تخجل من نفسك؟ عندما تتعرض أنت لمشكلة في موضوع ما، عادة ما أساعدك أنا وشريف كي تنتصر ونتدخل لمصلحتك في كل مرة. أتذكر عندما ذهبت وحدك في رحلة مع المدرسة وقام ولد ضخم بمضايقتك؟ لم نتركك وحدك في مواجهته وفي اليوم التالي أنضممت لك أنا وشريف وضربنا ذلك الولد أمام الجميع ضربًا مبرحًا حتى لا يتطاول عليك أحد بعد ذلك. هل تذكر ذلك الولد عامر صلاح الذي هددك؟ من الذي أخافه وأبعده عنك؟ ألست أنا وشريف وصديقي هشام من فعلنا ذلك؟ لماذا إذا عندما نحتاجك تتركنا وحدنا ويكون الأمر ليس من شأنك، ثم لتخجل من نفسك أنت تخاف أن تفعل شيئًا أخوك الصغير شريف مُصِّر أن يفعله. هل تسمي نفسك رجلاً؟ استرجل قليلاً."

طبعًا لم أكن أصدق ما أسمعه. هذا جنون مطبق.

ورددت على حسن: "أهذا ما تقوله؟ أخي الصغير مُصِّر على فعل شيء أحمق لأنه صغير لا يدرك ما يفعله ولا يدرك عواقب دخول تلك الفيلا. المشكلة ليست في شريف الصغير. المشكلة فيك أنت. أنت الكبير فينا وأنت تشجع شريف على ارتكاب هذه الحماقة وتتهمني أنني لست رجلاً لأنني لا أشجعه. أنا أرجل منك وسأريك فعليًا أنني كذلك."

وأرجعت قدمي اليمنى إلى الخلف وأنا أقف أمام حسن وتراجعت إلى الخلف مستعدًا لتوجيه لكمة أمامية إلى وجهه أو إلى وسطه وإن كنت طبعًا أدرك أنني وسط السريرين مربوط وليست هناك مساحة كافية تسمح لي بالحركة، وانقض علي حسن وأمسك بيدي وأشتبك معي جسمانيًا وأخذ يدفعني. كان يحاول دفعي نحو المكتب كي يثني جذعي عليه وبالتالي يتمكن من توجيه ضربات قوية من أعلى إلى وجهي.

ولكني دفعته وتراجعت إلى الخلف. أنا كنت قويًا وكنت أعرف أنني قوي ولكني كذلك كنت واعيًا أن حسن أقوى مني.

وصرخ حسن في وهو مستعد للانقضاض علي ثانية: "هذه حركات تفعلها كي لا تساعدنا. يا جبان."

وصرخت فيه: "أنا سأريك من هو الجبان."

تراجعت إلى الخلف تاركًا مرة أخرى مسافة بيني وبينه مستعدًا لتنفيذ حركة ماي جيري وركله بقدمي في بطنه أو وجهه إن استطعت.

كان صوتنا عاليًا ويبدو أنه اجتذب شريف والذي دخل الغرفة وترك الباب مفتوحًا كي تسمع أمي المشاجرة وتأتي إلى الغرفة وتفض المشاجرة أو هكذا كنت أفكر أنا حيث أنني أعرف شريف جيدًا.

وقفز شريف على سرير حسن الموجود في الطرف ثم قفز بين السريرين وسطنا ليمنعنا من الشجار وهو يقول بصوت عالٍ كي تسمعه ماما: "أهذا هو التفاهم بين الكبار؟ ماذا تركتما للأطفال في الصف الأول الابتدائي؟"

وكما رتب شريف سمعت صوت ماما من خلف حسن. كانت ماما قد دخلت الغرفة بعد شريف وبينما كنت أنا وحسن مشغولين بالاشتباك

ودفعت أمي حسن فسقط فوق سريري ثم دفعتني وسقطت فوق حسن وحملت أمي شريف وألقته فوقنا بقوة وسمعت تأوهه من الألم، وآتاني وأنا في وسط الكومة صوت أمي وهي تصرخ: "تتشاجران! هذا ما ينقصنا. هذا لن ينفع معي. أنا سأبلغ أبوكما. هو يعمل في الخليج ويدخر المال ويترككما هنا تتشاجران. هذا لن ينفع. عليه أن يترك عمله ويأتي ليؤدبكما."

أخيرًا استطعت أن أقوم من سقطتي فوق حسن بعدما قام شريف من فوقي، ووقف حسن وماما تدفعه في صدره بخشونة. تملص حسن من يد أمي وجلس على السرير الأخر بينما جلست أنا على سريري. ونظرت أمي في وجهينا وقالت: "والآن. أريد أن أعرف بالضبط لماذا تتشاجران."

وانقلبت أنا على ظهري إلى الخلف ودفعت قدماي إلى الخلف ووقفت على قدماي في الخلف خلف السرير لأذهب إلى السرير الثالث ثم إلى الموقع الخالي بجوار النافذة على الجانب الأخر من الغرفة كي أبتعد عن حسن، وصرخت وأنا أشير إلى حسن: "هذا الحيوان يقول أنني جبان."

وصرخ حسن محتدًا: "نعم. أنت جبان وستين جبان."

وصرخت أمي مهددة حسن: "حسن! توقف عما تفعله وإلا فلن يكون لك مصروف طوال هذا الأسبوع وستلزم البيت ولن تغادره طوال الأسبوع. توقف عن التجبر على أخويك الأصغر سنًا، وإلا .."

انقلب حسن على سريره إلى الخلف ليقف خلف السرير وفعل مثلما فعلت ثم وقف بجانب الخزانات الثلاث في طرف الغرفة الأخر ثم تحرك نحو الباب وترك الغرفة وسمعنا صوت باب الشقة ينصفق خلفه. لقد ترك حسن البيت بكامله.

طبعًا لم تجد أمي وقتها شخص تستجوبه سواي أنا فقط ولهذا تحولت إلي وسألتني: "مصطفى! لماذا يقول عنك أخوك أنك جبان؟ ما هو الشيء الذي يريدك حسن أن تفعله وأنت تخاف منه؟"

لو علمت أمي الأمر فستنقلب ضد حسن ولكن لو أني أخبرتها بهذا الأمر فيمكن لحسن وشريف أن يخبراها بأشياء عني لا أريدها أنا أن تعرفها، كما أنهما لن يأتمناني على سر بعد ذلك. لابد أن أقول أشياء تطمئن أمي وفي نفس الوقت تبقيها غير عالمة بالأمر ولهذا قلت لها: "أنت كذلك يا ماما تقولين أنني أخاف. أنا لا أخاف من أي شيء."

نظرت لي أمي بنظرة ثاقبة. إنها تنتظر ردًا على سؤالها وتعرف أنني أسُوِّف.

نتيجة لنظرة ماما تحدثت وأنا لا أجد شيئًا أقوله ولهذا تلعثمت وقلت: "حسن لم يطلب مني أن أفعل أي شيء. أعني .. أعني.. حسن كان يحكي لي قصة ولد كان أصدقاؤه يريدونه أن يفعل شيئًا وهو لا يريد فعله، وقال حسن عن ذلك الولد أنه جبان، وأنا كنت أعرف الولد وقلت له أنه ليس جبانًا، فقال لي حسن وقتها: "أنت أيضًا جبان."

يبدو أن أمي لم تصدقني ولهذا قالت بتشكك: "يا سلام! وما هو الشيء الذي كان أصحاب ذلك الولد يطلبون منه أن يفعله وكان هو يرفض فعله ولهذا قال حسن عنه أنه جبان؟"

لم أستطع أن أختلق قصة ملفقة بالسرعة المطلوبة ولهذا قلت لها وأنا أتلعثم: "أعني ... هي قصة .. لا أذكر ياماما. لقد قال لي حسن ذلك ولكني لا أذكر الآن."

ونظرت لي أمي بإمعان. هي تعرف أنني أكذب وأنا أعرف أنها تعرف أنني أكذب وحديثها بعد ذلك دلني على أن صوتي أنا وحسن لابد وأنه كان عاليًا إلى درجة أن أمي ولابد سمعت شيئًا مما قلناه لأنها قالت لي: "على العموم أنا رأيي أن الإنسان يجب أن يكون عاقلاً وألا يقوم بمخاطرة غير محسوبة ولكن لا ينفع أن يتخلى الانسان عن مساعدة أناس دائمًا ما كانوا يساعدونه. يجب على الإنسان أن يعطي كما يأخذ."

وقال شريف ببراءة شديدة: "أهذا هو رأيك فعلاً يا ماما؟"

وردت أمي: "نعم، ولكني أتحدث بشكل عام فأنا لا أدري ما هو الموضوع بالضبط."

ونظرت أنا وشريف إلى أمي وظللنا صامتين.

الفصل التاسع

شريف يحكي

كنا نجلس نحن الثلاثة أنا ومصطفى وحسن داخل سيارة عبد الله السعيد، وكان عبد الله أحد أصدقاء مصطفى وإن كان يكبره بحوالي ثلاث سنوات حيث كان عبد الله طالبًا بالفرقة الأولى من كلية تجارة جامعة عين شمس، ولكن عبد الله ومصطفى كانا عادة يلعبان في نفس التوقيت في تمرين الجودو في النادي، وسرعان ما نشأت بينهما صداقة متينة. وعلى الرغم من أن عبد الله كانت قد حدثت له إصابة وحدث خلع في كتفه منذ حوالي العام إلا إنه استمر في حضور تمارين الجودو وإن كان يذهب ليجلس على كرسي بجانب البساط ولا يلعب وهو فقط يذهب ليقابل أصدقائه ويشجعهم. كانت حالة كتف عبد الله تتحسن ولكن لم يكن يبدو أنها تتحسن بالسرعة الكافية.

كان مصطفى يجلس بجانب عبد الله في المقعدين الأماميين بالسيارة وكنت أنا وحسن نجلس في المقعد الخلفي للسيارة. كانت السيارة تتحرك ليلاً وكنت أنا وحسن مستعدين حيث أننا كنا نرتدي ملابس سوداء بالكامل وعلى رأس كل منا كانت هناك طاقية سوداء لو تم انزال طرفها الأمامي المتراكم فوق الطاقية فإنه يغطي الوجه بالكامل فيما عدا العينين والفم والأنف فقد بقيت مكشوفة لأن هناك فتحات لها بالقناع. كذلك كنت أنا أحمل حقيبة ظهر صغيرة أنيقة وخفيفة كنت أحملها في كل مكان فيما عدا المدرسة.

دار عبد الله حول سور الفيلا بما في ذلك البوابة الأمامية للفيلا. كانت الفيلا غارقة في ظلام دامس. لم يكن عبد الله يتوقف أثناء دورانه حول سور الفيلا حتى لا يلحظ توقفه أحد بل كان يدور بسرعة منخفضة فقط.

وبعدما استكمل عبد الله دورتين حول سور الفيلا، لم يكن حسن ومصطفى قد اكتفيا بل طلبا منه أن يدور مرة ثالثة. دار عبد الله للمرة الثالثة حول سور الفيلا ولم ألحظ أنا أي شيء، ولهذا طلبت منه أنا أن يدور للمرة الرابعة. كنت قد بدأت أشعر بالخوف، ليس الخوف الشديد ولكن الرهبة. أنا من دفعت أخويّ لهذه المغامرة ولكن ماذا لو حدث لأحدهما شيء سيء أو حتى حدث لي أنا شيء سيء. كانت الاحتمالات كبيرة وكلها مرعبة.

دار عبد الله حول سور الفيلا مرة رابعة وبعدها توقف عبد الله بجانب سور الفيلا الحجري وقام بركن السيارة وقال: "الدوران حول سور الفيلا لن يخبرنا بشيء. كما ترون المكان مظلم تمامًا ولا يوجد به شيء يتحرك مطلقًا في هذه الساعة المتأخرة من الليل." كانت الساعة حوالي الثانية صباحًا وكانت سيارتنا هي السيارة الوحيدة التي تتحرك في الشارع ولكن كانت هناك عمارات عالية حول الفيلا، ولو وقف أحدهم في إحدى الشرفات في إحدى تلك العمارات أو أطل من النافذة فسوف يلاحظ أن سيارتنا تدور حول سور الفيلا.

فكرت لو أن لأحد أعضاء العصابة شقة تطل على هذه الفيلا فربما حذر العصابة من أن هناك من يدور حول سور الفيلا، ووقتها لو دخلنا داخل سور الفيلا فسنجدهم في انتظارنا. تعالت دقات قلبي من هذا الخاطر ولكني نفضته عن عقلي سريعًا ولزمت الصمت وانتظرت. وقال حسن: "أنا رأيي أن نتسلق سور الفيلا من الخلف فقد نرى شيئًا لم نره في المرة السابقة حين دخلنا إلى ساحة الفيلا خاصة أننا وقتها كنا تحت ضغط الحارس ولم يتسن لنا ملاحظة الكثير."

وسألت أنا: "لو رآنا الناس على سور الفيلا، فماذا يظنون؟"

ورد حسن: "نحن في جميع الأحوال سندخل الفيلا. نحن الآن نلبس ملابس سوداء تخفينا في الظلام وهذه الليلة ليس بها قمر ونحن

نخفي وجوهنا. يمكننا الآن أن نختبر المياه كما يفعلون عندما يبللون أقدامهم قبل القفز في البحر. يمكننا الآن أن نجري ونقفز فوق السور للحظات ونرى ماذا هناك في الساحة ثم نعود للسيارة فورًا. لتكن لحظات فقط للاستطلاع. لنمكث فوق السور لدقيقة واحدة فقط ننظر ونرى ماذا يوجد خلف سور الفيلا ثم نعود إلى السيارة لنحدد ما سنفعله ولنحاول ألا يشعر بنا أحد. الآن فورًا.

خرجت أنا وحسن من السيارة. جرى حسن إلى الجزء من السور خلف الفيلا بينما فضلت أنا أن أتسلق السور الجانبي بسرعة. جلست فوق السور ولم أر أحدًا في الساحة ولهذا بقيت جالسًا وأنا أحاول أن أركز كي أرى كل شيء. كانت الليلة ليلة مُحاق أي ليلة بلا قمر، وبالتالي كانت الرؤية متعذرة نوعًا ما.

أردت أن تعتاد عيناي على الظلمة كي أستطيع أن أرى كل شيء يوجد في الساحة. أما حسن فلم يستغرق إلا أقل من دقيقة وعاد يجري نحوي خارج سور الفيلا وصرخ بصوت هامس: "شريف. شريف. ماذا تنتظر؟ إنزل."

نزلت عن السور وسرعان ما جذبني حسن من يدي وأدخلني السيارة وأشار لعبد الله بالحركة وهو يدخل إلى السيارة. بدأ عبد الله يدير محرك السيارة ثانية، وفكرت أنا أن هذا خطأ كبيرًا. يجب أن يظل محرك السيارة دائرًا في المرة القادمة التي ندخل فيها إلى ساحة الفيلا كي تستطيع السيارة أن تتحرك بسرعة لو كان هناك من يلاحقنا. عندما دخل حسن إلى السيارة قال: "أخرجنا من هنا يا عبد الله. بسرعة أرجوك."

ونحن نتحرك بالسيارة ظهرت سيارة أخرى تحركت بجانبنا. أنزلت أنا رأسي وألصقتها بركبتاي وجعلت بطني ملتصقة بفخذيّ بحيث لا يظهر أي جزء مني من زجاج السيارة الجانبي وكذلك فعل حسن.

وما إن مرت السيارة الأخرى حتى صرخ فيّ حسن: "ماذا كنت تفعل فوق السور؟ هل كنت تتأمل المناظر الطبيعية في الظلام؟ لقد قلت أننا سنصعد فوق السور لمدة دقيقة ثم ننزل ثانية. لماذا تأخرت هكذا في النزول؟"

ورددت عليه: "كنت أحاول أن أحدد ماذا يوجد في المكان بشكل جيد وأعود عينيّ على الظلام وأحدد المكان في رأسي بشكل جيد تمهيدًا لدخوله. أنا لم أر أحدًا في الساحة أمامي ولم أر سببًا للعجلة في النزول. قررت أن أجلس لفترة أطول وأرى المكان بشكل جيد."

ورد حسن: "الحمد لله أنك لم تر أحدًا. أنا رأيت رجلاً طويلاً ونحيفًا وعلى الرغم من الظلام فقد رأيت أنه كان يحمل في جانبه مسدس كبير. كان هناك صوت قوي وصفته أنت. أنا أيضًا سمعته في سياق ما ولكني لا أتذكر ما هو وقد غطى هذا الصوت على صوت تسلقي للجدار."

وقال عبد الله: "لو أن هناك حارس مسلح إذن فلن تستطيعوا دخول الفيلا يا حسن."

وقال حسن: "نعم. بهذه الطريقة لن نستطيع. لابد من توفير Distraction."

وسألت أنا: "ما هذه الكلمة الانجليزية؟"

ورد حسن: "كلمة Distraction معناها "إلهاء" أو صرف الانتباه. نحن نحتاج إلى شيء يلفت نظر حراس الفيلا بعيدًا عنا ليتسنى لنا دخولها."

مصطفى كان غاضبًا قبل أن ندخل سيارة عبد الله بداية وكان صامتًا طوال الوقت، وقال بغضب: "ما معنى هذا الكلام؟"

ورد حسن: "يبدو أننا سنحتاج إلى فرقة فؤاد عباس."

وصحت أنا مبتهجًا: "ياسلام. سأجعل دنجل يحضر معه المقروطة ونقتحم الفيلا."

وضحك حسن وهو يقول: "كلا. أنا قلت أننا سندخل الفيلا ولم أقل أننا سندخل السجن. الأمر لا علاقة له بأي سلاح. سنحتاج فرقة فؤاد عباس في أمر أبسط كثيرًا من ذلك."

وقال عبد الله ضاحكًا: "عندما قال لي مصطفى في البداية أنكم تنوون اقتحام فيلا بشكل غير قانوني لأن رجلاً دفع شريف في صدره ظننت أنه يمزح أو يسخر مني."

ورد عليه حسن قائلاً: "في الواقع نحن شاكرون للغاية مساعدتك يا عبد الله. لا أدري بدونك ماذا كنا سنفعل."

ورد عبد الله: "العفو يا صديقي. لقد كنت أتمنى منذ فترة طويلة أن أشترك في مغامرة ما ولكن للأسف لن أستطيع أن أقفز معكم فوق السور فمنذ أن أصبت بخلع في كتفي في تمرين الجودو ولم أعد أمارس الرياضة ثقل وزني ولم يعد بإمكاني تحميل ثقل جسمي على كتفيّ كما كنت أفعل من قبل. أنا الآن أذهب للنادي فقط لمشاهدة زملائي وأصدقائي يلعبون الجودو دون أن أشارك في التمرين. كل ما أستطيعه الآن هو أن أشارككم بقيادة السيارة."

وانتهزت الفرصة في تلك اللحظة وقلت له: "في المرة القادمة التي نقفز فيها على سور الفيلا يا عبد الله، ابق محرك السيارة دائرًا، فلو رآنا أحد ندخل الفيلا فقد نحتاج للهرب سريعًا بالسيارة."

الفصل العاشر:

في فترة ما بعد الظهر وقبل آذان المغرب بقليل وأمام البوابة الحديدية لسور الفيلا وقف فؤاد عباس بقامته الفارعة وبجانبه محمد حامد زميله في المدرسة وبجانبه عادل عاشور وبجانبهم اثنا عشر ولدًا وقد أحضروا معهم كرة قدم. كان فؤاد عباس مميزًا بسبب طوله الفارع. أطلق عمرو حسين والذي كان يلعب كرة القدم في أحد فرق الناشئين بالأندية ركلة من قدمه فذهبت كصاروخ لتصيب البوابة الحديدية للفيلا وارتجت لها البوابة من فرط قوتها.

وصاح فؤاد: "برافو يا عمرو. أحسنت يا ولد. هذا هو الهدف الأول لفريقنا."

وصرخ عادل عاشور بصوت غاضب وعالٍ: "لا. هذا ليس هدفًا. إنه إنفراد بالمرمى. وهذا معناه أوف سايد."

وصرخ محمد حامد: "ماذا! أوف سايد! لو اصطدمت الكرة بالبوابة الحديدية فهذا معناه هدف. يعني جاب جون."

وكرر عادل عاشور: "بل هو أوف سايد بالتأكيد."

ورد محمد حامد: "هذه اللعبة ليس بها أوف سايد. لو اصطدمت الكرة بالبوابة الحديدية فهو هدف ويحتسب هدفًا لفريقنا."

كانت الضجة التي أحدثها لعب الكرة أمام بوابة سور الفيلا والضربات التي تصيب بوابة سور الفيلا فيكون لصوتها دوي وكأنه الرعد قد اجتذبت حارسي الفيلا كي يتركا الساحة بالكامل ويقفا كلاهما خلف البوابة يراقبان ما يحدث."

كان الغفير الأول من هذين الغفيرين هو من دفع شريف في صدره قبلها بيومين وكان الحارس الثاني طويل ونحيف ومسلح بمسدس

قد ربطه في حزام في خاصرته، وكان يحمل في يده جاكت طويل كفيل بتغطية المسدس عندما يرتديه. كان الغفيران ينظران من احد الثقوب الكبيرة التي تمر من خلالها سلسلة الحديد التي تُغلق البوابة وكان يمكنهما بسهولة رؤية الأولاد.

وقال الغفير الأول: "ليس هناك شيء. إنهم مجموعة من الأولاد يلعبون كرة القدم ويتشاجرون على لعب كرة القدم كالعادة."

وقال الحارس الثاني: "وما الذي أتى بهم إلى هنا؟ حسبت أننا قد جعلنا أولاد المنطقة هنا يتوبون عن لعب الكرة أمام سور الفيلا. هذه وجوه جديدة. ما الذي أتى بهم إلى هنا؟"

وقال الغفير الأول: "يوجد أمام سور الفيلا مساحة كبيرة فالبوابة متراجعة قليلاً إلى الخلف عن حدود الشارع وهذا يعطي الأولاد مساحة يلعبون فيها الكرة بعيدًا قليلاً عن مسار السيارات."

وقال الحارس الثاني: "أنا لا شأن لي بهذه التبريرات. اخرج وأطرد هؤلاء الأولاد من هنا."

ورد الغفير الأول: "كلا يا معلم. لا احتكاك إلا في حالة الضرورة القصوى. هذه أوامر المدير."

وقال الغفير الثاني: "وهل سيظلون هكذا يضربون البوابة الحديدية ويضربون الجرس ويصنعون الكثير من الضجة طوال الليل. لاحظ أن أجازة الصيف في بدايتها ولو اعتاد هؤلاء الأولاد على لعب الكرة هنا فستجدهم هنا كل يوم."

وصاح الغفير الأول: "وماذا في ذلك؟ إنهم أولاد يلعبون في الخارج. والله أنا لي الجنة. لا أحد يحس بحالي. كلكم تجلسون معًا في المكاتب المكيفة في الداخل وتتركونني هنا وحدي طوال الليل

والنهار أتحدث مع بوابة سوداء. اعتبر وجود مثل هؤلاء الأولاد نوع من المؤانسة لي."

وصاح الحارس الثاني: "هذا لن يعجب من بالفيلا."

مرت دقائق ثم سقطت الكرة بالداخل في ساحة الفيلا. نظر الحارس الثاني للغفير الأول والذي انفعل فجأة وقال: "كلا. هذا كثير. لابد أن نضع خطاً أحمر عند نقطة ما. معك حق. بهذه الطريقة قد نجدهم يدخلون إلى داخل سور الفيلا ليستعيدو الكرة. لنحتفظ بالكرة ولا نعطيها لهم."

أمسك الغفير الأول بالكرة وفي خلال دقائق كان كل من فؤاد عباس وعمرو حسين ومحمد ياسين يجلسون فوق سور الفيلا، وصاح فؤاد عباس وهو يحاول أن يكون متأدبًا: "يا أستاذ. حضرتك. هذه الكرة تخصنا. نرجو إعادتها لنا."

وأنتاب الغفير الأول قلق شديد وصرخ: "انزل يا إبنى أنت وهو من على سور الفيلا. عندما تسقط الكرة داخل الفيلا، أتلقى أنا عقابًا من المدير لو رأى أحدٌ ما تفعلونه."

وقال فؤاد: "نحن آسفون. سننزل من فوق السور على أن تعطينا الكرة."

وقال الغفير الأول للثاني: "كان لابد أن يستمع المدير لي عندما طلبت منه وضع زجاج مكسور أو أسلاك شائكة أو حديد ذي أطراف مدببة. لو فعل ذلك لما تمكن هؤلاء الأولاد من تسلق السور."

بقى الأولاد الثلاثة فوق السور منتظرين رد الغفير، وفي نفس الوقت تعالت الأصوات من الأولاد الواقفين على الأرض خلف البوابة وهم يطالبون بإعادة الكرة لهم لأنهم يحتاجون إلى إنهاء المباراة.

وصاح الحارس الثاني المسلح والذي لبس الجاكيت الطويل لكي يغطي المسدس عندما رأى أعين الأولاد تتركز على المسدس في خاصرته: "إنزل يا ولد أنت وهو من فوق السور. إن ما تفعلونه هو تعدٍ على ممتلكات خاصة. يمكنني الآن أن أطلق عليكم الرصاص لأنكم تعديتم على المكان."

لم يبد على أي من الأولاد الاهتمام بما يقوله، ولم يأخذ أحد تهديده على محمل الجد.

وفتح الغفير الأول غير المسلح البوابة الحديدية ووقتها نزل الأولاد عن السور وأعطى الغفير الكرة لعادل عاشور وهو أول ولد يقف أمام البوابة عندما فتحها الحارس.

وقف الغفير الثاني المسلح خلف السلسلة وهو يغلق بجسمه البوابة الحديدية بينما تقدم الغفير الأول والتف حوله الأولاد وصاح الغفير الواقف وسط الأولاد.

"إذهبوا من هنا جميعًا. هذا المكان غير مخصص للعب الكرة."

وتقدم فؤاد عباس ليقف أمام الرجل وصرخ: "نذهب إلى أين؟ هل بنيتم فيلا في الشارع فأصبح الشارع كله ملكًا لكم أم ماذا؟ نحن نستطيع أن نلعب في الشارع كيفما شئنا. هذا شارع الحكومة."

وصرخ محمد حامد من جانب الغفير: "وهل كل إنسان بنى بناية في الشارع أصبح يعتبر نفسه مالكًا للشارع؟ نحن أحرار. من حقنا أن نلعب أينما شئنا."

ونظر الغفير للأولاد بغضب وهددهم: "لو سقطت هذه الكرة ثانية داخل سور الفيلا فلن أعيدها لكم."

ورد فؤاد: "إذن فسنضرب هذه البوابة الحديدية حتى نجعلها خردة، وإذا لم تعد الكرة لنا بعد ذلك فسنقفز فوق السور ونجعلك تعيدها بالقوة."

وكان الحارس الثاني يبدو وكأنه يكظم في صدره غضبًا عارمًا وصرخ في الأولاد: "إذن سأستعمل سلاحي هذا." وأخرج الرجل مسدسه.

وصاح عمرو حسين: "هذا تهويش. لو أنك رجل حقًا أطلق الرصاص من المسدس الآن ووقتها ستجد نفسك في قسم الشرطة وسيصدر لك أمر اعتقال من الشرطة وسيتم مصادرة مسدسك."

تقدم الحارس الثاني الواقف خلف البوابة بعدما وضع المسدس في حزامه ثانية. تقدم متخليًا عن حذره وترك البوابة الحديدية مفتوحة من فرط غضبه وصرخ في الأولاد: "يا لها من قلة أدب! لقد قال لكم الرجل أن تذهبوا بعيدًا وهذا معناه أنكم يجب أن تذهبوا بعيدًا."

وصرخ محمد حامد: "ماذا! أأنت من ستعلمنا الأدب. أنت أصلاً تبدو وكأنك تربيت في السجن."

وصرخ الرجل: "أنا من تربيت في السجن أم أنت من تبدو كمتشرد."

وصرخ محمد حامد: "من هذا الذي تدعوه بالمتشرد."

أرجو قراءة الصفحات الأولى من بداية هذه القصة لفهم ما يحدث.

شريف يحكي

بعد دخولنا الفيلا وهروبنا من متابعة عمالها لنا بيومين في صالة الجريدة كانت سلمى ودينا تقومان بعملهما كالعادة وكنت أنا وحسن

جالسين ننتظر أن يتصل أحد الزبائن ويطلب إرسال مندوب كي نذهب إلى مقره لاستلام المال والإعلانات، وأثناء جلوسنا كان حسن يعلمني كيف أقوم بتغيير تفاصيل الصورة على برنامج لتعديل الصور على أحد الكمبيوترين الموجودين بمكتب الجريدة.

دخل مصطفى وهو يلهث ويتنفس بسرعة وكأنه كان يجري طوال المسافة من النادي وحتى مكتب الجريدة، وحين رأيناه هكذا انتفضت أنا وحسن واقفين. كان منظر مصطفى يوحي أن هناك كارثة قد حدثت.

وصرخت أنا: "ماذا حدث؟"

ورد مصطفى وهو يكاد يلطم صدغيه: "إنه عبد الله. لقد خرج من بيته اليوم ولم يذهب إلى تمرين الجودو. سيارته مغلقة أسفل البيت وهاتفه المحمول لا يرد ولا أحد يعرف إلى أين ذهب."

وصاح حسن: "وماذا في الأمر؟ لم تمر سوى بضع ساعات على بداية النهار. لعله أحب في هذا اليوم أن يتجول على قدميه أو أن يُحدِث تغيير في حياته وأن يفطر في كافيتريا قريبة من منزله أو يزور أحد أصدقاءه. لعل لديه مشوار ما قريب من بيته وفضل اليوم ألا يذهب لرؤية أصدقاءه يتدربون، خاصة أنه هو نفسه لا يتدرب ولكنه يشاهد فقط. لعله ذهب في مشوار ولعل هاتفه قد سقط أو فسد أو انقطع شحن بطاريته أو لعله قد سُرق."

ورد مصطفى: "كلا. منذ أصُيب عبد الله لم يتخلف ولا مرة عن حضور التمرين ومقابلة اصدقاءه. كل من يعرف عبد الله يعرف أن موعد مقابلة أصدقاءه وقت تمرين الجودو هو موعد ثابت بالنسبة له. لم يحدث من قبل وأن تخلف عن موعد التمرين. هناك شيء قد حدث له. أنا متأكد."

ورددت أنا: "من واقع خبرتي في الحياة يا مصطفى أظن أنك تبالغ. ليس من المنطقي أن تنفعل هكذا لمجرد أن عبد الله لم يذهب إلى النادي اليوم خاصة وأنه لم يعد يتدرب."

دق جرس الهاتف فجأة وردت دينا: "ألو. جريدة الكتالوج." لم تكمل دينا المقدمة التي تجيب بها عادة على التليفون، بل ردت: "أي ولد تقصد؟ ما الذي تريده بالضبط؟" والتفتت دينا وقالت للأولاد: "هناك شخص يريد أن يحدث صديق عبد الله."

وأسرع مصطفى يجري نحو الهاتف واستمع لدقائق ووجهه تبدو عليه الجدية الشديدة ثم قال: "حاضر. حاضر. سأنفذ كل ما تقوله ولكن المهم ألا تؤذي عبد الله. سوف نفعل كل ما تقولونه ولن نبلغ الشرطة ولن نبلغ أحدًا بأي شيء. حاضر. أين العنوان؟"

وأخذ مصطفى أمام أعيننا ورقة وقلم من على مكتب دينا وأخذ يخط بالقلم على الورقة.

بعدها بدا على وجه مصطفى بوضوح أن محدثه قد أغلق الخط فجأة.

وقف حسن بجانب مصطفى وربت على كتفه وقال: "لا تقلق يا مصطفى. سنحل هذا الأمر."

وصرخ مصطفى وقد بدا عليه الضيق الشديد: "على أساس أنك تعرف ما هو هذا الأمر."

ورددت أنا عليه: "الأمر لا يحتاج إلى الكثير من الذكاء. العصابة عرفت عنوان عبد الله من رقم لوحة السيارة والذي ألتقطوا صورته منذ يومين، وقد خطفت العصابة عبد الله اليوم وهم الآن يهددوننا كي نسلم أنفسنا لهم وإلا فإنهم سيؤذون عبد الله وهم بالطبع يريدون منا ألا نتصل بالشرطة وأن نسلم أنفسنا لهم في العنوان الذي أملوه لك."

وتوقفت على الحديث وأنا أشاهد وجه مصطفى والذي أومأ برأسه دلالة على صدق حديثي واتفاقه مع الواقع.

وقال حسن: "ووقتها عندما نسلم أنفسنا لهم فسوف يقتلوننا بالتأكيد ويقتلون عبد الله."

وقلت أنا لمصطفى: "لا يوجد حل يا مصطفى إلا أن نبلغ الشرطة."

وقفز مصطفى كما لو كان قد أصابه مس كهربائي وصرخ: "إلا الشرطة. أفعلا أي شيء إلا أن نبلغ الشرطة. الرجل الذي اتصل بي قال أنهم سيقتلون عبد الله فورًا لو عرفوا أننا ذهبنا إلى الشرطة."

وطبعًا كنت أعرف أنني أتحدث إلى مصطفى وكأنني أحدث حجرًا أصمًا، فقد أذهب خوفه على صديقه عقله، ولكني تحدثت على أي حال: "وماذا كنت تنتظر من رجل العصابة ذاك أن يقول. هل سيقول لك سلموا أنفسكم وسوف نقتلكم ونقتل عبد الله، أم سيقول لك أن المخرج الوحيد من هذا الأمر هو ابلاغ الشرطة. طبعًا سيقول لك تعالوا دون أن تبلغوا الشرطة ووقتها لن يعود أي منا. لقد عرفنا سرهم والحل الوحيد كي يحتفظوا بذلك السر هو أن يتخلصوا ممن يعرفه."

وجلس مصطفى على الأريكة وشكله يوحي بأنه منهار وأخذ يبكي وهو يتأسى لحال صديقه: "أنا المخطيء. أنا من ورطت صديقي مع عصابة اجرامية لا تعرف الرحمة نتيجة لألعاب الأطفال التي تمارسونها."

وقال حسن بجدية: "البكاء على اللبن المسكوب لن يحل المشكلة. ابق انت هنا لعل العصابة تتصل مرة أخرى. أنا وشريف سنذهب إلى قسم الشرطة."

ورفع حسن يده ليوقف مصطفى المذعور عن قول ما كان سيقوله وقال حسن: "رجال العصابة لن يرونا حتى ولو كانوا واقفين أمام باب العمارة. سوف نصعد إلى السطح ونقفز على سطح العمارة المجاورة ومن باب العمارة الخلفي الذي يؤدي إلى الشارع الخلفي سنخرج ونتجه صوب قسم الشرطة مباشرة."

وأزاح حسن مصطفى من طريقنا وهو يقول: "لو اتصلت العصابة فأخبرهم أنني وشريف غير موجودين في المكتب وأننا لا نرد على هواتفنا المحمولة وأخبرهم أنك تنتظرني أنا وشريف حتى نذهب معك ونسلم أنفسنا جميعًا للعصابة. حاول أن تقول لهم أننا ذهبنا إلى مشوار بعيد وتؤجل موعد تسليمنا لأنفسنا، ولو أخبروك أن تسلم لهم نفسك وحدك فقل لهم أنك لا تستطيع حتى تستأذن ماما أو أي عذر من هذا القبيل. ابتكر."

وضعت حقيبتي على ظهري وتبعت حسن متوجهين إلى سطح البناية.

الفصل الحادي عشر

شريف لازال يحكي

دخلت أنا وحسن إلى قسم الشرطة. كانت هذه هي أول مرة أدخل فيها إلى قسم شرطة. كانت هناك صالة فسيحة يوجد في آخرها مكتب يجلس خلفه ضابط على كتفه نسر واحد بلا أية نجوم، وعلى جانب المكتب كان يقف العديد من رجال الشرطة من رتب أقل وكان يوجد العديد من الناس. طبعًا صدمني المنظر وقدرت أن الأمر سيستغرق الكثير من الوقت حتى أصل أنا وحسن إلى الضابط لأن هناك العديد من الناس يقفون قبلنا.

كان الضابط يتحدث إلى اثنين. أحدهما عينه متورمة وزرقاء ويسيل الدم من أنفه ويبدو أنه ضعيف البنية وقد تم ضربه بينما يبدو الأخر متنمرًا وغاضبًا، وكانت هناك مشاجرة محتدمة أمام الضابط وكان الرجل المضروب يشتم الرجل الأخر المتنمر أمام الضابط، وكلما اقترب الرجل المتنمر من الأخر المضروب كان أمين الشرطة الواقف خلف الرجل المتنمر يجذبه إلى الخلف ليبعده عن المضروب. وكنت أنا أراهم فقط من فرجة بين الواقفين تنغلق ثم تنفتح ثانية حيث انني قصير بسبب صغر سني.

لم يكن الضابط يفعل أي شيء بل كان فقط يستمع للرجل المضروب ويلفت انتباه الرجل المضروب لإكمال السرد حين يتوقف عن السرد ويبدأ الرجل المضروب بسباب الرجل المتنمر وكان وقتها الرجل المضروب يتوقف عن السباب ويستكمل حكاية الأمر للضابط.

توقف الضابط عن الاستماع وأشار للرجل الذي يقف خلف الرجل المتنمر ولاثنين من معاونيه واللذين أبعدا الرجلين إلى الجانب قليلاً، وسرعان ما تم سحب الرجلين إلى أحد جوانب الغرفة حيث كانت

هناك طاولة صغيرة أمامها كرسي وجلس أحد رجال الشرطة على الكرسي، وتم احضار دفتر وبدأ رجل الشرطة يسجل أقوال الرجلين.

تقدم بعد ذلك رجل يلبس قميص أسود وبنطلون أزرق ويحيط به رجلان يمسكانه بقوة عن يمينه وشماله وأحد هذين الرجلين يلبس جلبابًا وخلف الرجل الذي يمسك به الاثنان كان هناك رجل ثالث يجذبه من بنطلونه من الخلف كلما حاول التملص والتخلص من قبضة الرجلين على ذراعيه. كان من الواضح أن الرجل الذي يمسك به الثلاثة يريد أن يخلص نفسه من بين أيديهم ويذهب دون أن يلفت انتباه رجال الشرطة الموجودين.

كنت أنا وحسن نقف خلف ذلك الرجل الثالث، وكان نقف صامتين ننتظر أن يلاحظنا الضابط ويسألنا عما نريده.

تقدم الرجل ذو الجلابية الذي يمسك مع اثنين أخرين بذي القميص الأسود والبنطون الأزرق وصاح الرجل ذو الجلابية بعدما أدى التحية العسكرية للضابط: "يا باشا. أنا بواب العمارة وهذا الرجل،" وأشار إلى ذي القميص الأسود الذي يمسك به "صعد إلى الدور الرابع ثم سمعنا صاحبة الشقة ٤٢ مدام سمية تصرخ وتطلب النجدة وصعدنا نحن الثلاثة،" وأشار إلى الرجلين الأخرين الذي يمسكان بذي القميص الأسود "وطرقنا باب الشقة وضربنا الجرس ولم يفتح لنا أحد الباب ولهذا قمنا بكسر باب شقة مدام سمية ووجدنا مدام سمية مغشيًا عليها ووجدنا الخادمة وهذا الرجل قد وضعا المشغولات الذهبية الخاصة بمدام سمية والكثير من الثياب غالية الثمن في حقيبة سفر وهما يستعدان لمغادرة الشقة. اشتبكنا مع الرجل حتى أخضعناه وأتينا به إلى هنا وقد هربت الخادمة أثناء مشاجرتنا مع الرجل تاركة حقيبة السفر كما هي."

وصرخ الرجل ذو القميص الأسود: "هذا كذب. كذب يا باشا. لقد كنت أسير في الشارع في أمان الله ثم انقض علي هؤلاء الرجال الثلاثة واحضروني إلى هنا وأنا لم أفعل أي شيء."

وقال الرجل الذي يمسك بذي القميص الأسود من الخلف: "واضح يا باشا أن هذا الرجل معروف للخادمة التي هربت وأنها فتحت له الباب ودست لمدام سمية مادة مخدرة في الشاي وأحضرت هذا الرجل ليساعدها في سرقة الشقة ولكن مدام سمية عندما أحست بالأمر وقبل أن يتمكن منها المخدر غافلتهما وخرجت خارج الشقة على السلالم ونادت مستنجدة وأحس بها هذا الرجل والخادمة وتمكنا من جرها إلى داخل الشقة ولكن نحن والجيران أحسسنا بالأمر ودخلنا الشقة وقبضنا على الرجل."

وصرخ ذو القميص الأسود: "يا باشا. هذا كله كذب لم يحدث شيء مما يتحدثون عنه."

مرة أخرى لم يكن الضابط يفعل أي شيء، بل ترك كل شيء كما هو ووقف يستمع إلى المتخاصمين بصبر. وعند هذه النقطة، سأل الضابط الرجل الثالث الذي كان يمسك بالرجل ذي القميص الأسود من الجانب ولم يتحدث حتى تلك اللحظة: "وأنت كيف تصف الأمر؟"

وصرخ الرجل الثالث الذي كان يمسك بذي القميص الأسود من الجانب: "أنا أشهد معهما يا باشا." وأشار الرجل إلى الرجلين الممسكين معه بذي القميص الأسود: "أنا بواب البناية المجاورة للبناية التي حدثت بها الحادثة، وعندما سمعنا صوت مدام سمية تصرخ صعدت أنا مع إبراهيم،" وأشار إلى الرجل الذي يلبس الجلباب والذي قال سابقًا أنه بواب العمارة "وعبد المنعم،" وأشار الرجل إلى الرجل الثالث الذي يمسك بذي القميص الأسود من الخلف "إلى الدور الرابع وطرقنا الباب وعندما لم يُفتح لنا كسرنا الباب

ووجدنا مدام سمية ترقد على الأريكة وكان أمامها كوب الشاي والذي قالت بعد ذلك جارتها مدام هالة والتي تعمل صيدلانية أن رائحته تدل على أن به مادة مخدرة، ووجدنا الخادمة وهذا الرجل."

وأردف الرجل مشيرًا إلى الرجل الذي وصفه الثلاثة بأنه لص: "كان هذا الرجل والخادمة يقفان خلف الباب وكان هذا الرجل يحمل حقيبة سفر وحاول الرجل أن يضربنا بمفتاح انجليزي كان في يده ولكننا تمكنا من اخضاعه وعندما فتشنا حقيبة السفر وجدنا ذهب مدام سمية وملابس غالية الثمن."

وأردف الرجل: "الخادمة هربت أثناء انشغالنا مع هذا الرجل. واضح يا باشا أن هذا الرجل والخادمة هما عصابة واحدة وأنهما قد خدرا صاحبة الشقة وحاولا سرقة الشقة."

وصرخ ذو القميص الأسود: "يا باشا. الكلام هذا كله كلام فارغ. أنا لم أدخل أي شقق ولا أعرف أي خادمات. هؤلاء الناس أحضروني من الشارع بدون مناسبة لذلك وأتوا بي إلى هنا وهاهم يقولون هذا الكلام الملفق عني. يا باشا. أنا رجل شريف."

وصرخ البواب المدعو إبراهيم والذي كان يلبس جلبابًا بعد أن أدى التحية العسكرية مرة ثانية للضابط: "يا باشا البناية موجودة في الشارع خلف القسم، ولو أرسلت معنا أمين شرطة فسيمكنه مقابلة صاحبة الشقة مدام سمية وجارتها الصيدلانية مدام هالة، ويمكن كذلك سؤال جميع السكان في الدور الرابع. الجميع سمعوا استغاثة مدام سمية. لقد تركنا مدام سمية في رعاية جارتها مدام هالة والتي تمتلك صيدلية في الشارع. مدام هالة دخلت الشقة بعدنا مباشرة ورأتنا ونحن نمسك باللص ونفتح الحقيبة وهي تعرف الخادمة. ستخبركم بكل شيء. نحن لا يمكننا أن نكذب على حضرتك ولا على الحكومة."

كانت هناك فرجة قد انفتحت بين الواقفين، حيث أشار الضابط إلى معاونيه فدفعوا الرجل ذي القميص الأسود والرجلين الذين يمسكان به إلى الجانب وقاموا بإلباس الرجل ذي القميص الأسود قيود حديدية حول ذراعيه. تقدمت أنا وحسن حين وجدنا طريقنا مفتوحًا حيث أننا لا يمكننا أن نظل نقف وننتظر طوال النهار حتى يسألنا أحد عما نريده. كان حجمنا أصغر من الواقفين وكان من السهل أن يتجاهلنا الجميع.

صرخت أنا بالضابط: "يا باشا. سيقتلون عبد الله. آمل أن تساعدنا الشرطة. لقد خطفت العصابة عبد الله والعصابة الآن تراقب شقتنا، ولو عرفوا أننا جئنا للشرطة فسيقتلون عبد الله."

نظر إليّ الضابط بدهشة شديدة وكأنه لا يراني وبدلاً من أن يجيبني أشار إلى أحد مساعديه ليخرجني أنا وحسن من أمامه وينحينا جانبًا. كان الضابط لا يزال يركز على ما يقوله البواب وقال الضابط: "لحظة يا ولد أنت وهو." ووجه الضابط حديثه للرجل الأخر الذي يمسك بذي القميص الأسود وسأله: "وأين كنتم انتم الثلاثة حين سمعتم استغاثة المرأة؟ هل كنتم في بنايات مختلفة أم كنتم تقفون مع بعضكم البعض، أم ماذا؟"

ورد الرجل: "نحن الثلاثة كنا جالسين على أريكة حجرية مبنية داخل البناية في أسفل البناية أمام السلالم، وكنا نشرب الشاي لا مؤاخذه." قال الرجل "لا مؤاخذة" وكأن الشاي مشروب عيب أو ممنوع قانونًا.

ودق حسن على المكتب الموجود بجانب الضابط وهو يحاول جذب انتباه الضابط بينما يحاول التملص من يد مساعد الشرطة الذي كان يمسك به والذي دفع حسن ثم دفعني إلى الخلف وصرخ حسن: "أرجوك يا حضرة الضابط. سيقتلون عبد الله."

وصرخ الضابط: "انتظر دقيقتين يا بني. انتظر قليلاً."

الفصل الثاني عشر:

شريف لا زال يحكي

كنت أنا قد تخلصت من يد المساعد وتقدمت إلى الأمام. أخرجت من حقيبتي حزمة الدولارات التي أخذتها من الفيلا ووضعتها على مكتب الضابط.

وتحولت عينا الضابط إلى حزمة الدولارات والتي نظر لها بصدمة، وفجأة ضحك وقال: "وما هذا أيضًا في هذا اليوم الذي لا يريد أن ينتهي. ما كل هذا المال؟"

ورردت أنا: "هذا ليس مال أصلاً. إنه ورق مطبوع كأنه مال."

وقال حسن: "نعم. هذا مال مزور."

وقال الضابط: "وما أدراكم أنه مزور. هل اكتشفتم أن حبر المال ليس ثابتًا. إنها تبدو لي كدولارات حقيقية."

ورد حسن: "نحن نعرف أنها مزورة بسبب أنها كانت تطبع أمام أعيننا منذ يومين في فيلا هنا في مدينة الأزهار."

وسأل الضابط مستخفًا: "ما هذا الكلام؟ وهل تركوكما تشاهدونهما هكذا وهم يطبعون المال؟"

ورددت أنا: "كلا طبعًا. لقد قفزنا من فوق سور الفيلا دون أن يشعروا بنا."

وقال الضابط بصرامة وكأنه يصف جريمة تعدي: "هل قفزتما فوق سور فيلا ليس لكما حق دخولها ودون أن يدعوكما أحد إلى دخولها؟"

وقلت له أنا وأنا أحاول شرح الأمر: "لقد دفعني الغفير في صدري."

ونظر لي الضابط بإمعان وقال: "لا أفهمك. لماذا دفعك الغفير؟ هل دفعك الغفير ليدخلك إلى الفيلا؟"

وأخرجت المسدس الذي أخذته من الحارس أثناء مواجهتي أنا وحسن للحارس داخل الفيلا ووضعته على المكتب أمام الضابط.

وصرخ الضابط: "وما هذا أيضًا؟"

ورددت عليه: "هذا مسدس."

وصرخ الضابط بصرامة: "لا يا شيخ. أعرف أنه زفت مسدس. من أين أتيت به؟"

ورددت عليه: "هذا مسدس أحد حراس الفيلا. حاول أن يصل إليه حتى يضربنا بالرصاص أو يهددنا بمسدسه هذا ولكني وصلت إلى المسدس أولاً وهددته به كي نهرب أنا وحسن."

ورد الضابط: "حسن!"

ورد حسن: "نعم. أنا حسن."

كان الضابط قد تخلى عن طريقته في الانتظار حتى ينصت للحكاية بأكملها قبل أن يبدأ السؤال وكان من الواضح أن رؤيته للمال المزور قد استفزه وزاد من استفزازه رؤيته للمسدس. أمسك الضابط بالمسدس وتأكد من إغلاق زرالتأمين ثم تشمم فوهة المسدس وسأل: "هل أطلقتما الرصاص من هذا المسدس؟"

ورددت أنا: "كلا طبعًا."

ووضع الضابط المسدس أمامه على المكتب بحيث يكون أقرب إليه ثم أشار لي أن أناوله حقيبة ظهري وناولته الحقيبة وفتشها وعندما لم يجد شيئًا فيها أعادها إلي وسألني: "ألم تمر خلال البوابة الالكترونية عندما دخلت للقسم؟"

وأجبته: "كلا. لقد مررت بجانبها وتركوني أفعل ذلك لأنني صغير."

وهز الضابط رأسه مستنكرًا وقال: "نعم. صغير يحمل مسدسًا. هل هذا المسدس مرخص؟"

وأجبته: "نحن لا نعرف. لقد أخذناه من الرجل حتى لا يطلق علينا الرصاص وكي نستطيع أن نهرب وبالتالي أخذنا المسدس وهربنا به."

وقال حسن: "المهم الآن ليس المسدس. المهم أن ننقذ عبد الله."

وسأل الضابط: "ومن هو عبد الله؟"

ورد حسن: "هو صاحب السيارة التي هربنا فيها."

وقلت أنا للضابط: "ستقتله العصابة إذا علمت أننا اتصلنا بالشرطة."

وسأل الضابط: "هل معنى حديثكما أن العصابة قد اتصلت بكما وأخبرتكما أن عبد الله لديها وأنهم سيقتلونه إذا اتصلتم بالشرطة؟"

وقال له حسن: "بالضبط حضرتك. لقد اتصلت بنا العصابة وأخبرتنا ألا نتصل بالشرطة وإلا فإنهم سيقتلون عبد الله، ولكن طبعًا نحن لم يكن لدينا أي حل سوى أن نتصل بالشرطة."

وسأل الضابط بجدية: "وماذا يريدون مقابل عبد الله. هل يطلبون فدية مثلاً؟ هل طلبوا مالاً؟"

وقلت له: "كلا حضرتك. إنهم يريدون أن نسلم أنفسنا لهم ووقتها سيقتلوننا ويقتلون عبد الله."

ورد الضابط: "أريد أن أسمع حكاية هذا الفيلم من البداية لأنه من الواضح أن هناك مقاطع لم تحكياها لي بعد. أريد أن أعرف بدقة ما الذي فعلتماه أنتما، وما الذي فعله مزوروا المال وما الذي فعله عبد الله."

وتقدم البواب الواقف أمام الضابط خطوة للأمام نحو الضابط وقد ساءه أن اهتمام الضابط قد اتجه وجهة أخرى بعيدًا عنه وسأل البواب الضابط: "وماذا بالنسبة لنا حضرتك؟"

وضع الضابط المسدس في كيس نايلون أخرجه من درج بالمكتب الذي يجلس خلفه وأشار الضابط إلى أحد مساعديه وعندما حضر له المساعد أعطاه المسدس وقال له: "حرز المسدس وارسله إلى المعمل الجنائي ليروا إن كان عليه بصمات ويقارنوا الرصاصات المُطلقَة منه بالرصاصات المستخرجة من مواقع أي جريمة لم يتم العثور على السلاح المستخدم فيها."

واقترب البواب من الضابط أكثر ليسترعي انتباهه ولكن الضابط أشار له ليتنحى جانبًا هو وصاحباه والرجل الذي يمسكون به وصاح الضابط برجل أخر كان ينظر في بطاقات الهوية للناس الذين يتقدمون نحو الضابط وقال: "سيد. .. يا سيد."

وألتفت له سيد وأشار له الضابط أن يمسك بالرجل الذي كان يحاول سرقة بيت ساكنة في المبنى الذي يحرسه البواب وقال الضابط لسيد: "سيد. خذ هذا الرجل الذي يمسكون به وقم بأخذ بصماته

ومعرفة إن كانت له سوابق اجرامية وقم بتصوير بطاقة هويته، ولكن تأكد أولاً أنها غير مزورة."

وصاح الرجل المُتهم بأنه لص: "يا باشا أنا لست لصًا. الخادمة الخاصة بتلك المرأة قد نادتني وكنت أنا أسير في الشارع وقالت أنهم يريدون نقل خزانة ملابس ثقيلة. صعدت إلى الطابق الرابع لأنقلها لها وفجأة وجدت المرأة صاحبة الشقة تصرخ وأتى هؤلاء الرجال." وأشار إلى الرجال الثلاثة المحيطون به "وصدقوها وقبضوا علي."

قال ذلك الرجل الذي قيل من قبل أن اسمه هو عبد المنعم: "يا باشا، الخادمة انتهزت الفرصة وهربت. لو لم يكن الأمر به سرقة لما هربت الخادمة سعادتك."

وتقدم مساعد الشرطة الذي ناداه الضابط باسم سيد ووضع يده على كتف الرجل الذي أشُير إليه بأنه لص واقتاده إلى الخارج وبهذا أنهى الجدل المثار حول هذا الموضوع.

وأشار الضابط إلى مساعد أخر له وقال له: "خذ هؤلاء الناس المحترمين." وأشار إلى البواب وصاحبيه وقال "وقم بتصوير بطاقات هوياتهم والحصول على أرقام هواتفهم والحصول على أقوالهم وسجلها في محضر ثم اصطحبهم إلى العمارة التي يقولون أن هذا الرجل بوابها." وأشار إلى البواب الذي قيل أن اسمه إبراهيم "اذهب معهم أنت ومحمد رضوان وعلي وتأكد من أن ما قالوه صحيح وقم بالحديث مع تلك المرأة المسماة سمية المقيمة في الطابق الرابع وأخذ أقوالها والحديث إلى جارتها الصيدلانية وسجل محضر معاينة بأقوالهما. إعرف الموقف بالضبط وأنت تعرف كيف تتصرف."

ورد المساعد: "تمام يا أفندم."

ونظر الضابط إلى البواب وصاحبيه وقال: "نحن شاكرون يا رجالة على المساعدة. طبعًا كان واجبكم أن تحضروا اللص إلى قسم الشرطة ولكن طبعًا نحن نشكركم على الجهد."

وتراجع الرجال الثلاثة للخلف بتردد وكأنهم قد خجلوا من شكر الضابط لهم وقال البواب إبراهيم وهو يضرب للضابط تعظيم سلام: "نحن الشاكرون لكم يا باشا. نحن لم نفعل شيئًا من الأصل. كما قلت حضرتك لقد كان هذا واجبنا."

وتدخل حسن وقد وجد أن موضوع البواب وزميليه واللص قد حُسم وقال: "وبالنسبة حضرتك لعبد الله الذي سيقتلونه."

وقال له الضابط: "خمس دقائق وأتفرغ لك." ثم أردف: "اطمئن. لن يقتل أحد عبد الله."

وقبل أن يقول حسن كلمة أخرى، دفعه أحد مساعدي الضابط إلى الجانب، ونادى الضابط على المساعد الأخر الذي كان يكتب محضر الشرطة بين الرجل المتنمر والأخر المضروب وقال: "هل كتبتم المحضر يا سالم؟"

وأجاب سالم: "نعم يا باشا. لقد تأكدت من هوية الرجلين وحصلت على صورة من هوية كل منهما وسجلت أقوالهما في المحضر وسأتاكد إن كان لأيهما سوابق اجرامية. أي أوامر يا باشا؟"

وقال الضابط مشيرًا إلى الرجل المضروب والذي يسيل الدم من وجهه وقال له: "ارسل حمزة مع هذا الرجل إلى المستشفى واجعل الأطباء يكشفون عليه واجعل حمزة ينتظر في المستشفى حتى يحصل على التقرير الطبي، واجعله يحضر لي رقم هاتف الطبيب الذي كشف على الرجل في المستشفى، وتحفظ أنت على هذا الرجل،" وأشار إلى الرجل المتنمر "في حجز القسم."

وصاح الرجل المتنمر: "كلا يا باشا. أنا الضحية هنا. أنت لا تعرف ما فعله يا باشا حتى اضطررت إلى ضربه."

ورد الضابط: "وماذا فعل؟"

وقال الرجل المتنمر: "لقد أهانني أمام زملائي وشتمني أمامهم."

ورد الضابط: "وأنت قمت بتأديبه. أليس كذلك؟"

سكت الرجل المتنمر وهو ينظر للضابط بحقد وقال له الضابط: "في المرة القادمة، رد عليه لفظيًا بالكلام في حدود اساءته، ولكن إن ضربته فيجب سجنك. القانون في بلادنا لا يسمح بالبلطجة."

وصاح الرجل المتنمر: "يا باشا. أنا الضحية."

ورد الضابط: "غدًا ستعرض على وكيل النيابة، اذكر كل التفاصيل وأقوالك أمامه، وثق أنك لو كنت فعلاً الضحية فسوف تحصل على حقك. خذه يا سالم."

ونظر الضابط إلى سالم، وتحرك سالم ومعه رجل أخر ووضع سالم يده على ذراع الرجل المتنمر، وتركه الرجل يقتاده إلى خارج صالة القسم، بينما تحرك الرجل المضروب بهدوء مصحوبًا برجل أخر يمشيان وراء سالم والرجل المتنمر.

وأشار الضابط لحسن الذي كان واقفًا أمام الضابط مباشرة وهو يبدو نافذ الصبر بإشارة تدعو حسن إلى الصبر، وأخيرًا جلس الضابط خلف مكتبه ثانية وأشار للكرسيين الموجودين أمام المكتب وقال لي ولحسن: "تفضلا بالجلوس."

وأشار الضابط لمعاونيه في الصالة وقال: "أرجو أن يتراجع الجميع. أريد أن أتحدث إلى هذين الولدين وحدهما دون أن يسمعنا أحد."

وتراجع الجميع إلى أول الصالة بعيدًا عن مكتب الضابط وقال الضابط لحسن: "احكي لي الحكاية من البداية، واطمئن طالما أن العصابة لم تقبض عليكما فسيظل عبد الله، إن شاء الله، حيًا. لن تقتل العصابة شخصًا واحدًا يعرف سرها وتترك اثنين يعرفان نفس السر، وإلا فإنهم سيحاكمون بتهمة تزوير عملة وجريمة قتل. جريمة تزوير العملة عقوبتها سجن قد يكون طويلاً أما القتل فعقوبته اعدام قصير."

الفصل الثالث عشر:

شريف لا زال يحكي:

قضيت أنا وحسن ومصطفى تلك الليلة جالسين على الأرض في منطقة ما من الصحراء في ظلام دامس. أخبرنا رجال الشرطة أن هذه هي النقطة التي حددها رجال العصابة على لنسلم أنفسنا فيها للعصابة. كنت أنا قد وضعت في حقيبة ظهري بعض السندوتشات والشيبسي والبيبسي وغيرها من الأشياء كي نأكلها إذا استمرت فترة التسليم وقد سلم رجال الشرطة لكل منا سماعة صغيرة لنتلقى عليها تعليمات الشرطة وقد وضعنا بجانبنا هواتفنا المحمولة حتى نرد على العصابة إن اتصلت بنا. كذلك تم تزويد كل منا في نفس السماعة بميكروفون صغير وحساس كي نستغيث بالشرطة في حالة إذا لم نستطع أن نتصل بهواتفنا المحمولة إذا أحس أي منا باقتراب العصابة منه.

طبعًا كان منظرنا من بعيد يوحي بأننا وحدنا في الظلام تمامًا ولم تكن السماعات المركبة في آذاننا ولا الميكروفونات المدلاة من أعناقنا ظاهرة من بعيد. كنت أقول أن منظرنا يوحي بأننا وحدنا تمامًا ولكن الحقيقة أنه كانت هناك سيارتان للشرطة إحداهما على مبعدة كبيرة منا على الجانب والأخرى خلفنا على مبعدة كبيرة كذلك. كان ضباط الشرطة في كلتي السيارتين مجهزين بأدوات للرؤية الليلية ضمن نظارات معظمة بحيث يستطيعون عن بعد أن يروننا ويرون أي شخص يقترب منا. كانت سيارات الشرطة هذه زرقاء داكنة اللون لا تبدو من بعيد، وقد وقفت في أماكن مرتفعة ولكنها تغرق في ظلام دامس.

بدأ ضوء النهار في الظهور في الرابعة صباحًا بعدما سمعنا صوت آذان الفجر من المساجد البعيدة. في الساعة الرابعة قمت أنا وحسن ومصطفى بالتيمم وآداء صلاة الفجر بعد سماع الآذان. في الرابعة

والنصف صباحًا بعد آداء الصلاة عرفت أنا وحدي ودون أن يخبرني أحد أن انتظارنا لقدوم العصابة لن يستمر، فإذا كانت العصابة لم تأت لتخطفنا في الظلام الدامس الذي كنا نجلس فيه فلن تأتي الآن وتخطفنا في هذا الضوء خاصة عندما بدأت سيارات النقل في الحركة على الطرق البعيدة ولكن كان بإمكاننا رؤيتها على مبعدة.

وآتانا صوت العقيد محمود الذي يقود العملية وهو يقول عبر السماعات في آذاننا جميعًا، نحن ورجال الشرطة: "انتهى الأمر. خذوا الأولاد في السيارة وأعيدوهم إلى القسم. واضح أن العصابة قد عرفت بتدخلنا وآثرت الهرب."

شريف مازال يحكي

دخلنا قسم شرطة مدينة الأزهار حوالي الخامسة صباحًا أو نحوها وتم ادخالنا إلى غرفة جانبية كان يجلس بها ضابط الشرطة الذي حدثناه ظهر اليوم السابق وقد عرفنا أن اسمه الرائد محمد راجي وكان كل من حوله من الضباط وقت الاعداد للعملية يدعونه راجي أو راجي باشا.

كانت الشرطة قد أرسلت أحد رجالها للجلوس بجانب الهواتف في صالة الجريدة الخاصة بنا "كتالوج مدينة الأزهار" وقد تم تركيب أجهزة تتبع في المكان في صالة الجريدة على الهواتف كي يعرف رجال الشرطة من أين تتصل العصابة بمجرد اتصالها بهواتف الجريدة ولكن للأسف لم يتصل أحد.

وقد أبلغنا الرائد محمد راجي أن أحد مهام رجل الشرطة ذاك الذي تم ارساله للجريدة هو إبلاغ أمي بأن لدينا مهمة شديدة الأهمية نعمل فيها مع الشرطة وأنا لا يجب أن تقلق علينا ولا يجب أن تأتي إلى قسم الشرطة. كنت أنا وحسن قد اتصلنا بمصطفى ليلحق بنا في قسم الشرطة.

أخرجت أنا بعض علب البسكويت من حقيبة ظهري ووزعت البسكويت على أخواي وعلى ضابطي الشرطة الجالسين في الغرفة معنا في قسم الشرطة وقال مصطفى للضابطين: "حضرتك. طبعًا أنا لا ألوم الشرطة ولكن كان يجب بمجرد أن أخبرناكما بمكان فيلا تزييف الأموال أن تذهبوا إليها وتقبضوا على العصابة فورًا."

ورد العقيد: "هذا ما حدث بالفعل. بمجرد أن قمتم بابلاغ الرائد/ محمد راجي بالواقعة قام هو بابلاغ مديرية الشرطة في القاهرة والتي قامت خلال ساعة من البلاغ بمداهمة الفيلا ولكن للأسف كان الوقت قد فات. لم نجد أي شيء بالفيلا. جميع المنقولات تم نقلها وقد تم مسح الفيلا بمنظف يحتوي على مادة الكلور ومسحوا كل شيء الجدران والدرابزينات والأسوار والبوابة الحديدية وكل الأسطح الداخلية بالفيلا. لم نجد أي بصمات أو أي شيء يساعدنا على تتبع العصابة."

وأردف العقيد محمود: "كذلك اتضح أن الشركة التي كانت تستأجر الفيلا والمخازن لم تكن مقيدة في السجل التجاري ولا مصلحة الضرائب وكانت مكاتبها الرئيسية مستأجرة وقد قامت العصابة باخلاء المكاتب بدون أي أثر يدل على أصحاب الشركة. كانت هناك فقط سكرتيرة مُعينة حديثًا قالت أن الشركة لم تكن لها أي سجلات، ولم تستطع السكرتيرة أن تدلي بأقوال تصف بها المدير الذي قالت أنها لم تقابله سوى مرة واحدة ولم تكن به علامات مميزة وذكر لها إسمًا لم نستطع أن تستدل عليه.

لم يكن هناك موظفين بالمرة يعملون بالشركة سوى السكرتيرة وسوى ساعي كانت مهمته تنظيف المكاتب وخدمة السكرتيرة، وقابل المدير مرة واحدة يوم تعيينه وقد قال الساعي نفس ما قالته السكرتيرة ولم تكن لديه أية معلومات مطلقًا.

كل ما كان لدى السكرتيرة من معلومات هو عدد من أرقام الهواتف كانت مهمة السكرتيرة أن تتصل بها عند حدوث شيء، وأرقام الهواتف هذه جميعًا الآن لا ترد، وقد تبين لنا أن كل هذه الأرقام لشرائح الكترونية لهواتف كانت في تليفونات تم سرقتها من قبل ومعظم شرائح الهاتف تلك كانت فقط تتصل بالسكرتيرة أو صاحب العقار الذي أجر لهم المكتب واسم المستأجر كان غير حقيقي وكل البيانات التي تم إمداد صاحب العقار بها كانت غير حقيقية."

وأكمل العقيد محمود: "كذلك كان صاحب المخازن رجلاً مهاجرًا إلى الخارج وكان الإيجار يُودع بشكل سنوي في حسابه في البنك بالدولار الأمريكي."

وأردف العقيد محمود: "العصابة كانت مستعدة بشكل كامل لليوم الذي يتم حدوث شيء غير مُتوقع لها. لا توجد أي معلومات عن أي من أفراد العصابة وكأنها عصابة أشباح."

وأردف العقيد محمود: "ولما أرسلنا مخبرينا لسؤال الناس حول الفيلا أخبرونا أن هناك سيارات نقل كبيرة ذهبت إلى الفيلا في تلك الليلة التي دخلتم فيها أنتم إلى الفيلا ونقلت العصابة في تلك السيارات كل شيء كان موجودًا في الفيلا وغادرت ولا أحد يعلم إلى أين ذهبت تلك السيارات."

وقلت أنا: "ولهذا لم تأت العصابة للمكان الذي طلبوا منا تسليم أنفسنا فيه. لابد أنهم قد علموا بأن الشرطة قد داهمت الفيلا من شخص ما، ربما من جار أو شخص تركوه يراقب الفيلا من بعيد."

وقال العقيد محمود: "كان طلب العصابة لكم أن تسلموا أنفسكم لهم هي فرصة لم نكن نستطيع أن نضيعها. وضعنا احتمال أن العصابة قد لا تكون قد علمت بأن الشرطة قد تدخلت في الأمر وأعددنا كل شيء كما لو أنكم كنتم ستسلمون أنفسكم للعصابة وأنكم لم تتصلوا

بالشرطة، ولكن من الواضح أن العصابة إما أنها قد خافت من أن تكونوا قد أبلغتم الشرطة أو أنها قد راقبت قسم الشرطة مثلاً وتأكدت من حضوركم إليه. في جميع الأحوال نحن قمنا بما كان يجب علينا القيام به."

وقال الرائد محمد راجي: "للأسف الخطأ في الأساس هو خطأكم أنتم. لولا أن العصابة قد خطفت عبد الله صديقكم لما عرفت الشرطة أصلاً أي شيء عن عصابة التزييف تلك. واضح أنكم كنتم قد قررتم السكوت وعدم ابلاغ الشرطة بما رأيتموه في تلك الفيلا. كان يجب عندما هربتم من الفيلا أن تتجهوا فورًا إلى قسم للشرطة أو تقوموا بابلاغ الأمر للشرطة على الهاتف كأقل إجراء يجب عليكم القيام به، ولكن للأسف انتظرتم حتى أخفت العصابة جميع آثارها ونقلت مواد التزييف من الفيلا ثم لاحقتكم وخطفت عبد الله بعد أن اطمأنت العصابة أنه لم يعد بوسع الشرطة تتبعها ومعرفة مكانها الجديد."

ورد حسن بجدية شديدة: "لقد فعلنا ما كان يجب علينا القيام به. نحن نعتبر أنفسنا صحفيين حيث أننا نساعد أمي وهي صحفية. لقد صورنا الفيلا من الداخل وأخذنا عينات من الأموال المزورة كي نصورها ونضع الصور على موقعنا على الانترنت، وتنهد حسن بأسى وأردف: "كنا نعتقد أن هؤلاء المزورين لا ضرر منهم مادمنا قد هربنا منهم ولم نكن نعرف أنهم على هذه الدرجة من الاجرام التي يخطفون بها صديقنا عبد الله."

وصاح محمد راجي: "ماذا! ألستم مصريين! كيف لم تفكروا في الآثار السلبية لتزوير العملة على اقتصادنا القومي."

وقلت له أنا: "أي آثار سلبية! لقد كانوا يزورون عملات أجنبية."

وصاح العقيد محمود: "كيف! ألم تفكروا أنه سوف يتم بيع تلك الدولارات المزورة في السوق المصري وسيتم استبدالها بأموال

تعب المصريون كثيرًا كي يكتسبوها، وهل يرضيكم أن يشتري أي شخص، سواء كان مصريًا أو غير مصري، بماله الذي تعب في تحصيله واكتسابه بعض الأوراق المطبوعة على أساس أنها دولارات وبالتالي يضيع عليه نتيجة مجهوده في تحصيل تلك الأموال التي اكتسبها بالعرق والتعب؟"

وأطرقت أنا برأسي. الضابط على حق. نحن فعلاً أخطأنا وقلت: "للأسف نحن لم نفكر على هذا النحو، ونحن بالتأكيد أخطأنا."

وصاح مصطفى: "الأولوية الآن ليست للأموال. أموال الدنيا كلها لا تساوي ظفر صديقي عبد الله. أنتم الشرطة وعليكم أن تعثروا على عبد الله. لقد عرفتم بموضوع الخطف وأصبحت العصابة تعرف أننا اتصلنا بكم وبالتالي فأنتم من يقع عليكم عبء استعادة صديقي عبد الله."

الفصل الرابع عشر:

شريف لا زال يحكي

وقال محمد راجي: "للاسف. ليس لدينا أي دليل يدل على العصابة."

وقال حسن: "شريف قام بتصوير عدد من الصور بالموبايل الخاص به للأشخاص الذين كانوا يقفون خلف ماكينات الطباعة ولكننا كنا مختبئين وكاميرا الموبايل الخاص بشريف ليست جيدة."

ورد محمد راجي: "ماذا؟ صورتم بعض الصور. لماذا لم تقولوا هذا قبل الآن؟ أين هي؟"

وفتحت أنا الموبايل الخاص بي وعرضت على الضابط محمد راجي والعقيد محمود الصور التي صورتها معروضة على شاشة الموبايل. وقال محمد راجي: "لا فائدة من هذه الصور. الصور سيئة للغاية."

ونظر محمد راجي لحسن وقال له: "ألم تستخدم أنت كاميرا موبايلك لتصوير العصابة."

ورد حسن: "كاميرا الموبايل الخاصة بي أسوأ من كامير الموبايل الخاص بشريف كما أنني لست مغرمًا بالتصوير ولهذا تركت شريف يقوم بالعمل كله."

وقلت للضابطين شارحًا سبب رداءة الصور: "لقد كان التصوير من بعيد وكنت خائفًا وحركتي مقيدة ولهذا خرجت الصور مهزوزة، ولكني قمت بعمل تحسين للصور على برنامج ميكروسوفت أوفيس بيكتشر مانجر والذي يوجد على نظام الويندوز، وقمت بتحسين نوعية الصور نوعًا ما. وقد وضعت الصور الناتجة على اصبع فلاش USB بعد تعديلها على الكمبيوتر المكتبي في مكتب الجريدة."

وقال العقيد: "هاهو ذا كمبيوتر على المكتب، وأشار إلى المكتب بجواره. أين الـ USB."

بحثت لدقيقة عن أصبع الفلاش في حقيبة الظهر الخاصة بي واخرج اصبع الفلاش وتحلق الجميع على الكمبيوتر. جلس العقيد محمود على المكتب أمام الكمبيوتر يعرض الصور ووقفنا جميعنا خلفه.

كانت هناك مجموعة من الصور لوجوه بعض الأشخاص الذين بدوا من بعيد بعضهم منحني وبعضهم اخفت بعض قطع الآلات أو أجسام زملاؤهم وجوههم. وتوقف العقيد محمود فجأة عند أحدى الصور وفتح الصورة وبدأ يكبرها وقال العقيد منفعلاً: "أليس هذا هو حلمي جنح الذي يقطن بالحي السابع."

ونظر الضابط محمد راجي بتمعن للصورة وقال: "إنه هو حضرتك."

وسأل العقيد: "أين هو الآن؟"

ورد محمد راجي وهو يحاول اخفاء حرجه: "آخر المعلومات أنه نقل مكان سكنه خارج الحي السابع."

وسأل العقيد: "وأين ذهب؟"

ورد محمد راجي: "للأسف حضرتك. نحن لا نعلم. لم نره منذ فترة في مدينة الأزهار. الحقيقة أنه قد توقف عن ارتكابه لجرائم النشل وخطف حقائب السيدات والجرائم التي كان يرتكبها. لمدة حوالي ثلاث سنوات الآن لم يتم اقتياده للقسم لارتكابه أي جريمة ولهذا لم نعد نهتم بمراقبته والتأكد من مكانه."

وصاح العقيد بغضب: "لقد ترك جرائم النشل وسرقة حقائب السيدات لأنه انشغل بنشاط أسوأ وهو المشاركة في تزوير الأموال وخطف الأشخاص. ألا نعرف أي شيء عن مكانه؟"

ورد محمد راجي بحرج شديد: "للأسف يا أفندم. أنا شخصيًا ظننت أنه تاب وأقلع عن جرائمه خاصة أنه صار الآن بالغًا وصار بإمكانه أن يعمل بأي عمل ويحصل على أجر جيد من عمله، كما أن أمه قد تركت زوجها المجرم والذي كان يجبره على النشل."

ورد العقيد بغضب أشد: "ظننت أنه تاب! هكذا بدون أدلة أو براهين! شيء رائع. هذا يعني أنه على الرغم من أننا نعرف أحد أفراد العصابة إلا أننا لن نستطيع القبض عليه. وزع هذه الصور على أقسام الشرطة بالجمهورية فقد يتعرف أحد على أي من رجال العصابة."

ورد محمد راجي بأسى: "للأسف يا أفندم. الصور غير واضحة بالمرة ويخيل إلى أن الناس حين تنظر إلى هذه الصور فلن تتعرف على اصحابها."

وقلت أنا وأنا أحس ببعض المسئولية عن عدم إمكانية القبض على العصابة: "للأسف يا أفندم. هذا هو السبب الذي جعلني لا أعطيكم الصور من البداية. الصور ليست واضحة ولا يمكن تمييز الناس على أساسها."

وقال العقيد محمود: "مهما يكن من أمر. لقد تعلمت في عملي هذا أن الصدفة تفيدني أكثر مما يتوقع معظم الناس. وزع صور أعضاء العصابة الأخرين على أي حال واحضر من ارشيفنا صورًا جيدة لحلمي جنح وقم بتوزيعها على مديريات وأقسام الشرطة وضع على صورته عنوان "مطلوب بشكل عاجل" فقد يسعف الحظ أحد رجالنا ويتم القبض عليه. لو قبضنا على حلمي فسوف نستطيع القبض على بقية العصابة."

وسألت أنا: "هل يمكن لنا، حضرتك، أن نحصل على صور واضحة لحلمي جنح من أرشيف الشرطة؟"

وسأل العقيد وهو متذمر بسبب خيبة أمله في الصور: "ولماذا تريدها أنت أيضًا؟"

ورددت وأنا أشرح له الأمر: "نحن لدينا موقع رائج على الانترنت والكثيرون يتابعوننا يوميًا وقد قررنا أن نضع صور عبد الله صديقنا على الموقع لعل أحد المترددين على الموقع يرى صوره ويتعرف عليه ويدلنا على مكانه، وأرى أنه يمكننا كذلك أن نضع صورًا لحلمي جنح على الموقع باعتباره أحد من خطفوا عبد الله لعل أحد زوار الموقع يتعرف عليه ويخبرنا عن مكانه، ولكننا نحتاج لصورة واضحة لحلمي كي نفعل ذلك وسوف نضع أرقام هواتفنا كي يتصل بنا أي شخص يرى عبد الله أو حلمي ويمكننا أن نضع كذلك هواتف من تكلفونه بمتابعة هذا الأمر من رجال الشرطة."

وتحدث العقيد باهتمام وقال: "ولم لا؟ لقد كنتم جزءًا من هذا الموضوع من أوله، وربما كنتم أنتم من يصنع خاتمته." ووجه العقيد محمود كلامه للرائد محمد راجي وقال له: "راجي. عندما تحضر صورًا واضحة لحلمي جنح من أرشيفنا، اجعل بعض هذه الصور متاحة للأولاد كي يضعوا الصور على موقعهم على الانترنت."

شريف لازال يحكي

كانت أمي جالسة على أحد الآسرة في غرفتي أنا وأخواي حسن ومصطفى وأمامها جلسنا نحن الثلاثة. كانت الساعة السابعة صباحًا وكنا قد عدنا لتونا من قسم الشرطة وكنا في غاية التعب، ولكني لم أكن أشعر بالرغبة في النوم فقد كانت أمي توبخنا بشدة على ما فعلناه من اشتراكنا في تلك المغامرة التي جررت أنا أخواي لها، وليتني ما فعلت.

وقال مصطفى: "طبعًا يا أمي من حقك الغضب لأننا لم نبلغك بشيء ولكننا أبلغنا الشرطة وهذا ما كان يجب علينا فعله. وبمجرد أن أخبرنا الشرطة أخذوا هواتفنا المحمولة خوفًا من أن نتصل بالعصابة أو نرد على العصابة دون إبلاغ الشرطة، وتحفظوا علينا لنفس السبب خوفًا من أن تتصل بنا العصابة بأية طريقة ولم يسلمولنا الهواتف المحمولة إلا مساءًا حين كنا ننتظر العصابة في الصحراء وكانت هواتفنا وقتها قد وُضعت تحت المراقبة، وتم التنبيه علينا ألا نستخدم الهواتف في الحديث إلى أي شخص وأن نتركها غير مشغولة في حال إذا عرف أفراد العصابة أرقام هواتفنا وأرادوا الاتصال بنا. وبهذا فلم نكن في أي لحظة منذ إبلاغنا للشرطة نستطيع ان نتحدث معك أو نخبرك بأي شيء."

قال حسن: "وقد أخبرتنا الشرطة أنها أبلغتك وأرسلت أحد أفراد الشرطة للجلوس بجانب تليفون المكتب الذي اتصلت به العصابة حتى إذا اتصلت العصابة ثانية يكون فرد الشرطة ذاك هو من يرد عليهم، وقالت الشرطة لنا أنه سيبلغك بكل شيء."

وقلت أنا وأنا أحاول أن أجعل اليوم يمر بسلام حيث أن أمي كانت غاضبة حقًا: "والحمد لله الأمر انتهى الأمر على خير، فكما ترين يا ماما فنحن بخير ولم يصبنا شيء ولم نخسر أي شيء."

وقال مصطفى بحزن شديد: "الوحيد الذي خسر كل شيء هو عبد الله المسكين فقد خطفته العصابة ولا أحد يعرف مكانه ولم تستطع الشرطة فعل شيء."

وصاحت أمي: "هذا كله نتيجة رعونتكم وسوء تصرفكم. اكتشفتم الجريمة ولكنكم لم تستطيعوا أن توقفوها، وكدتم أن تموتوا وصديقكم عبد الله خُطف وقد تقتله العصابة، لا قدر الله. لم يحقق تدخلكم في الأمر أي شيء جيد. كانت نتيجة أفعالكم كلها سيئة. أنا لم أعد أعرف كيف تفكرون. كنت أظن أن مفاتيح أسراركم كلها معي،

ولكني اكتشفت أنكم تخفون عني الكثير وكلها أمور خطرة. أنا لم أعد أثق بكم. كل الناس تكبر وتصبح أرجح عقلاً وأكثر حكمة وأنتم كلما كبرتم أصبحتم أكثر جنونًا. لم أعد أعرف ماذا أفعل بكم."

وصاح مصطفى وهو يكاد يبكي من الغيظ: "إن شريف هو من وضعنا في هذا الموقف السيء. أنا وحسن لم نكن نريد ذلك في البداية."

وصاحت ماما بحدة في حسن ومصطفى: "حقًا. كفا عن هذا الهُراء. شريف قال لكما أن تقتحما فيلا لا تخصكما وفعلتما ذلك لأن الموضوع راق لكما. وماذا كنتما ستفعلان لو أمركما شريف بالقفز من النافذة؟ هل كنتما ستقفزان! هذا لا يعني أنني أبُريء شريف ولكنكما أخواه الأكبر منه سنًا وكان يجب أن تمنعانه لا أن تسايرانه. أنتم الثلاثة أخطأتم ويجب أن أعاقبكم ولكني لا أدري ماذا أفعل بكم."

وأحسست بالندم الشديد بسبب ما فعلته وبسبب اخفائي للأمر عن ماما، وبدأت أبكي بحرقة وشاركني مصطفى البكاء فقد كان حزينًا وخائفًا فعلاً على صديقه عبد الله بينما بدا على حسن الهم الشديد.

وقال حسن: "نحن آسفون يا ماما ولكننا لم نكن نعرف أن هذا كله سيحدث."

وقالت ماما وهي لازالت غاضبة: "أنا لا أقبل اعتذاركم. الآن أنا سأذهب لأنام لأنني لم أنم طوال الليل، وأنتم ايضًا اذهبوا فناموا وسنعيد الحديث في الأمر صباحًا."

خرجت أمي من غرفتنا وقال مصطفى لي ولحسن بحرقة: "أنا سأذهب للنوم على أريكة غرفة الجلوس. لن أنام معكما في هذه الغرفة. لولاكما لما كان عبد الله قد خُطف."

وأردف مصطفى قائلاً وقد زاد غضبه: "نعم. أنتما لم تخسرا أي شيء. صديقي أنا هو من خُطف ولا يبدو أن أحدًا يستطيع فعل أي شيء الآن لاستعادته."

الفصل الخامس عشر:

شريف لازال يحكي

وخطرت ببالي فكرة فقلت بصوت خافت كي لا تسمعني ماما: "بل هناك ما يمكننا أن نفعله. لقد سمعتما الضابط يقول أن هناك مجرم من العصابة اسمه حلمي جنح وأنه من الحي السابع."

وقال حسن بصوت منخفض لنفس السبب: "قال الضابط أنه ترك الحي السابع."

وقلت أنا وأنا أؤكد على كل كلمة أقولها: "قال الضابط أنهم لا يعرفون مكانه الآن. لعله عاد للحي السابع. عادة ما يميل الناس للحركة ضمن المنطقة التي اعتادوا العمل والعيش فيها."

وقال حسن وهو يفكر: "هذا صحيح. وربما كان كل المجرمين الذين يعرفهم يقيمون في نفس المنطقة. لعله يحتاج إليهم في عمله في أمر ما الآن ولهذا سيتصل بهم ويتردد على المنطقة."

وسأل مصطفى متشككًا بغضب وقد بدا نافذ الصبر: "هل أنتما متخلفان؟ كيف سيعيد هذا عبد الله؟"

ورددت أنا: "هذا هو الخيط الوحيد الذي أمامنا، وأنا أرى أن نقتفي أثر هذا الخيط ولعل الله سبحانه وتعالى يوفقنا. نحن لا نستطيع أن نكتفي بالقعود ثم نلوم أنفسنا لو قتلت العصابة عبد الله لا قدر الله. فلنحاول أن نتابع هذا المجرم حلمي جنح. سيكون هذا شيئًا باستطاعتنا القيام به بدلاً من الانتظار الذي عادة لا يكون هناك طائل من وراءه. الشرطة لا تستطيع أن تقوم بكل العمل وحدها. رجال الشرطة لديهم الكثير من الجرائم التي لا يعرفون من فعلها، وسوف ينسون مشكلة عبد الله بعد وقت قصير وينشغلون بمشكلات وجرائم أخرى. يجب أن نحاول نحن حل مشكلة عبد الله بأنفسنا."

وقال مصطفى: "أنتما تحلمان، وهل نستطيع نحن الثلاثة فقط تغطية منطقة الحي السابع بكاملها طوال الوقت."

ورددت عليه أنا: "لماذا نحن الثلاثة فقط. يمكننا أن نستعين بزملاءنا المتدربين في النادي وهم جميعًا أصدقاء لعبد الله وأشك في أن أيٍ منهم سيمتنع عن فعل أي شيء لمساعدته والعثور عليه. هناك كذلك أصدقاؤنا في المدرسة، وكذلك فرقة فؤاد عباس. لقد كانوا سعداء جدًا عندما عهدت إليهم بمهمة اجتذاب نظر الحراس عند مدخل بوابة الفيلا عندما كنا نستعد لدخول الفيلا، والآن هم في الاجازة يُتوقع أن يشعروا بالملل الشديد ولا يجدوا ما يفعلونه. سيرحبون بمساعدتنا لو طلبنا منهم ذلك."

ورد حسن بصوت قوي وقد بدأ يتحمس: "وهذه المرة لن يكون عليهم فعل شيء صعب. كل ما سيكون عليهم فعله أن يأخذوا صور عبد الله وصور هذا المجرم حلمي جنح التي وعد الضابط/ محمد راجي بأن يعطيها لنا ويدوروا بهذه الصور الواضحة على حراس عقارات الحي السابع وأصحاب المتاجر ويسألوا الناس الذين يسيرون في الطريق والناس الذي يبدو عليهم أنهم يقيمون في المنطقة هل رأوا أيًا من هذين الشابين ولن يمثل هذا خطورة عليهم."

وقال مصطفى دون حماس: "أصلاً الاحتمال الأكبر أنه لا العصابة ولا حلمي جنح ولا عبد الله يمكن أن يكونوا في مدينة الأزهار. لو كنت مكانهم لذهبت بالعصابة وبأجهزتها وبعبد الله إلى أسوان مثلاً .. مكان بعيد جدًا لا يعرفهم فيه أحد. كما أن حلمي جنح هذا مجرم صغير، أي أنه ليس متخذ القرار في العصابة، ولا يهم إن كان معتادًا على العمل في الحي السابع أو غير معتاد. رئيس العصابة هو متخذ القرار وطبعًا سينقل العصابة لمكان بعيد."

وقال حسن: "أولاً. لقد قامت العصابة بنقل جميع المعدات والأوراق النقدية الكثيرة جدًا وكل شيء كان في الفيلا في نفس الليلة التي

دخلنا فيها نحن إلى الفيلا، ولا أعتقد أنه قد توفر لديهم الوقت كي يجدوا لأنفسهم مكان في أسوان أو أي مكان بعيد ويحجزونه ويستأجرونه. حتى لو عثروا على مكان بعيد على الانترنت ودفعوا عن طريق التحويل البنكي ضمن بنوك أجنبية عن طريق الموبايل مثلاً فعليهم معاينة المكان أولاً. هم لا يستطيعون أن يذهبوا إلى محافظة أخرى ثم يجدوا أن المكان الذي أستأجروه لا يصلح أو أنه مكان يمكن كشف ما يحدث فيه من بنايات حوله أو أنه غير مؤمن ولا يمكن تأمينه أو أن ابن صاحب المكان مثلاً ضابط شرطة أو غير ذلك من الاخطار. قد لا يعرف أفراد العصابة الكثير من الناس الذين يعملون في أماكن بعيدة والاحتمال الأكبر أنهم لن يغامروا بالذهاب إلى أماكن لا يعرفونها أو لايعرفون من فيها."

وقلت أنا وقد خطرت ببالي فكرة: "كذلك فإن حركة سيارات نقل كبيرة بين المحافظات ليلاً قد تمثل مخاطرة كبيرة للعصابة حيث توجد كمائن للشرطة على الطرق. يمكنهم ببساطة أن يتوقعوا أن يتوقفوا في كمين ما ثم يطلب ضابط الشرطة المشرف على الكمين تفتيش سيارات النقل بالكامل."

وأردف حسن متحمسًا: "ومن يدري لعل حلمي جنح هذا كان يعرف مكانًا يمكن للعصابة أن تستأجره بسرعة وعلى عجل وفي نفس الليلة وسيكون هذا المكان طبعًا في المنطقة التي يعرفها حلمي جيدًا وحيث يوجد معظم أصدقاءه من اللصوص في الحي السابع."

وقلت أنا مؤكدًا على كلام حسن: "وفي هذه الحالة فلن يقطعوا مسافة كبيرة بسيارات النقل أي أنهم سينتقلون فقط من الحي العاشر للحي السابع ضمن مدينة الأزهار نفسها وهي مسافة صغيرة نسبيًا، وحركة سيارات النقل في هذه المسافة يمكن أن تكون ضمن طرق جانبية لا توجد بها كمائن للشرطة ولا تسترعي النظر للعصابة."

وقال حسن يحدث مصطفى: "هذا هو الخيط الوحيد الذي أمامنا. حلمي جنح الذي يمكننا أن نحصل على صورة جيدة له. هل تفضل أن نفعل شيئًا بشأنه أو أن نجلس وننتظر؟"

وفكر مصطفى للحظات ثم قال: "أفضل أن نفعل شيئًا وأن نتابع الخيط المتاح أمامنا. نحن لا يمكننا أن نجلس وننتظر."

شريف مازال يحكي:

بعد عدة أيام ومنذ الساعة العاشرة صباحًا بدأت أنا ومصطفى ضمن مجموعة من أصدقاءنا وزملاءنا في المدرسة وزملاءنا في النادي وفرقة فؤاد عباس في المرور على حراس البنايات والفيلات في الحي السابع وسؤال أصحاب المتاجر والأكشاك في نفس الحي، وسؤال كل شخص نشتبه أنه من سكان المنطقة عما إذا كان قد رأى عبد الله صديقنا أو حلمي جنح عضو العصابة.

كنا قد حصلنا على صور واضحة للغاية لحلمي جنح وطبعًا كانت لدينا صور ممتازة لعبد الله صديقنا وقد تم توزيع كل الصور على المشاركين في البحث بحيث حصل كل من المشاركين على صورة على الأقل لحلمي جنح وصورة لعبد الله. توزعنا حول الحي السابع ومعنا الصور بحيث كان معظمنا يتحرك بمفرده وهو يسأل في المنطقة التي حُددت له عما إذا كان فيها من شاهد عبد الله أو حلمي جنح.

ومع أول حارس للبناية عرضت عليه الصور أشار الرجل فورًا إلى صورة حلمي وقال: "أنا رأيت هذا الشاب في هذه المنطقة ولكن لا أذكر أين." وتكرر رد الفعل هذا مع حوالي ثلث من سألتهم على مدار اليوم. الكثيرون رأوا حلمي في تلك المنطقة ولكن لا يذكرون أين شاهدوه بالضبط. كذلك ذكر بعض أصحاب المتاجر أن حلمي قد

اشترى منهم أشياء، وقال هذا خاصة أصحاب متاجر البقالة والجزارة والخضروات.

كنت أكتب ما يقوله حراس البنايات وأصحاب المحلات والعاملين بها الذين قابلتهم في برنامج ايفر نوت الموجود على هاتفي المحمول وموقع كل منهم واسم متجره أو رقم سيارته إن استطعت تسجيله حيث كانت معي خريطة للمنطقة على الهاتف المحمول، ووضعت علامة خاصة على الخريطة عند موقع كل شخص قال أنه شاهد حلمي، وفي كل مرة كنت أقول للشخص الذي قال أنه رأى حلمي: "لو رأيت هذا الشخص ثانية، اعرف لي مكانه ولو بالتقريب، واتصل بي ووقتها سنعطيك مكافأة محترمة."

وفي كل مرة كان الناس يسألون، وخاصة حراس البنايات والذين كانوا بالطبع فقراء نسبيًا وبالتالي من المرجح أن يهتموا بالمكافأة المالية، عن ما هي الحكاية، وعن ماهية الجهة المهتمة بمعرفة مكان هذين الشابين ومن يعطي المكافأة التي كنت أنا وزملائي نتحدث عنها، وقد تم تلقين جميع من يقومون بالبحث نفس الكلام من أن هناك جمعية خيرية تعيد المفقودين إلى أهليهم، وأن هذه الجمعية تعطي مكافآت سخية لمن يدل على هؤلاء الأشخاص المفقودين.

وفي كل مرة كان يسألني أحد من اسألهم أنا كنت أقول له: "اسمي شريف وأعمل مع جمعية اسمها "جمعية التراحم ولم الشمل" ومقرنا في شارع الجمهورية بمدينة الأزهار. هذا عمل خير ونحن وظيفتنا أن نصلح بين الناس ونصل لمكان الأشخاص الذين تفتقدهم عائلاتهم ولن نجبر أحد على أي شيء. في النهاية سنخبر الشخص المفقود برغبة عائلته في مصالحته ولو أنه يريد العودة لذويه فهو حر أما إذا لم يكن يريد العودة فهو حر كذلك. لا اجبار في الأمر."

وكنت بعدها أنتقل لحارس البناية التالية أو من يعملون في المتاجر التالية أو أي شخص يفتح باب سيارة ويبدو عليه أن يقيم في نفس الشارع وأكرر نفس ما قلته في المرة السابقة وأعطي ذلك الشخص ورقة مكتوبة عليها اسمي ورقم هاتفي وأرقام هواتف مجلتنا على الانترنت والتي زعمت أنها تشارك في أعمال "جمعية التراحم ولم الشمل" وقد كانت كل من سلمى ودينا ابنتي خالتي اللتين تعملان في الجريدة قد تم تنبيهها لأن أيًا منهما قد تتلقى مكالمات تدل على مكان حلمي أو عبد الله، وقد وعدتا بالمشاركة في الأمر والاتصال بحسن فور تلقي أية مكالمة تبلغنا بمكان وجود عبد الله أو حلمي.

وبالطبع كان حسن قد قام قبلها بتصميم موقع على الانترنت بشكل سريع واعداد لوجو تم وضعه على الموقع لجمعية "التراحم ولم الشمل" ووضع حسن على الموقع صورة حلمي جنح وعبد الله صديقنا على أساس أنهم أشخاص مفقودون مطلوب اعادتهم إلى أسرهم.

كان عدد الأولاد الذين يقومون بنفس ما أفعله يقارب الأربعين من الأولاد الذين تحمسوا للعثور على عبد الله من فرقة فؤاد عباس وزملاءنا في النادي وفي المدرسة ممن بقوا في القاهرة أثناء الاجازة ولم يذهبوا إلى المصيف.

في حوالي الثالثة ظهرًا كنت قد قابلت حوالي خمسين شخصًا طبقًا لبرنامج ايفر نوت وطبقًا لتتبع المسار الذي صنعته لنفسي على الخريطة وحددت عليها مكان من سألتهم ومكان من رأوا حلمي.

الفصل السادس عشر:

شريف لازال يحكي

طبعًا كنت في الساعة الثالثة قد ظللت أجوب المنطقة لمدة خمس ساعات، فيما عدا حوالي نصف ساعة، قضيتها في مسجد في منطقة البحث المخصصة لي لآداء صلاة الظهر جماعة، ولكن حوالي خمس ساعات تقريبًا مرت في التجوال في المنطقة. كنت جائعًا وظمآن للغاية واتجهت إلى متجر معروف يبيع سندوتشات الفول والطعمية والمرطبات في الجوار.

طبعًا كنت أنا مغرمًا بأكل سندوتشات البطاطس بالسلطة والطحينة وكنت سأشرب معها بعض الكولا. وأمام المتجر قابلت أخي مصطفى والذي كان من الواضح أنه أيضًا في حالة جوع شديد وقد أتى لذلك المتجر لنفس السبب. كان المتجر مزدحمًا للغاية بالزبائن والحمد لله أنني قد قابلت مصطفى فمع ارتفاع منصة البيع وكوني قصير القامة بما يناسب سني لم أكن لأستطيع الحصول بسهولة على طلباتي في هذا الزحام، ولكن مصطفى كان يعرف ما أريده وقد زاحم وآتاني بعدد ٢ سندوتش بطاطس وزجاجة كولا صغيرة، وأحضر مصطفى لنفسه سندوتشات الطعمية ومشروب السفن أب وهي الأطعمة التي يفضلها مصطفى.

جلست أنا ومصطفى على جدار قصير يقع قريبًا من حدود المتجر وسألني مصطفى: "ماذا فعلت؟"

وبدون كلمة واحدة ناولته هاتفي ليقرأ ملاحظاتي وناولني هاتفه لأقرأ ملاحظاته.

وقال مصطفى ملخصًا الأمر: "أرى أن ملاحظاتنا تكاد تكون متطابقة. لقد صدقت تخميناتك أنت وحسن. حلمي جنح لم يذهب إلى

أسوان، ولو كان حلمي جنح موجود مع العصابة فالعصابة بالتأكيد هنا في الحي السابع. الكثير رأوا حلمي جنح أو باعوه أشياءًا. علينا أن نكثف مجهوداتنا للعثورعليه."

وسألت مصطفى: "هل تظن أن حراس البنايات والناس الذين تحدثنا إليهم سيتصلون بنا لو رأوا حلمي جنح ثانية؟"

ورد مصطفى: "أشك في ذلك. معظم من حدثتهم لا يصدقون موضوع جمعية لم الشمل والتراحم هذه. معظمهم سيخافون أن نكون مجموعة تريد بذلك الفتى حلمي شرًا. المرجح لو رأوه ثانية أن يتجاهلوا الأمر أو ينبهونه هو أن قومًا يقولون أنهم يعرفون أهله يبحثون عنه ويعطونه أرقام الجمعية وهذا طبعًا سينبه حلمي جنح أن هناك أشخاصًا وقد يكونون متصلين بالشرطة يحاولون أن يعثروا عليه."

ورددت على مصطفى: "هذا ما ظننته. فعلاً معظم الناس لا يصدقون موضوع جمعية التراحم ولم الشمل هذه، ولو تحدث بعضهم إلى حلمي حول أن هناك جمعية للم الشمل تحاول أن تصلح بينه وبين أهله وقال لهم حلمي أن علاقته بأهله ممتازة وأنه ليس فاقدًا للذاكرة كما زعمنا نحن لبعض من سألناهم فسوف ينبهونه هو لو رأونا ثانية."

وقال مصطفى: "لو نبه الناس حلمي لأن هناك من يحاول العثور عليه، فقد تبحث العصابة عن مكان أخر تختفي فيه ووقتها قد لا نجدها أبدًا."

على الرغم من أن مصطفى كان يعبر عن قلقه إلا أن هذا الوقت كان أول مرة أرى فيها مصطفى يبتسم منذ عدة أيام. لقد استيقن من ملاحظاته وملاحظاتي أن حلمي جنح موجود في الحي السابع ولم تم

القبض عليه فسوف يدل بالتأكيد على العصابة وقد أعطاه هذا أملاً في العثور على صديقه عبد الله.

وخطرت لي فكرة وقلتها لمصطفى: "لماذا يا مصطفى لا تستخدم معرفتك بالماكياج والباروكات التي عندك والمعرفة التي اكتسبتها أيام كنت تدرس دورة التمثيل التي التحقت بها في أن تغير أشكالنا واشكال زملاءنا بحيث لا يستطيع حراس البنايات الذين تحدثنا معهم اليوم التعرف علينا. أنا رأيي أن نتنكر ونراقب المنطقة حتى نرى حلمي جنح ووقتها نراقبه ونعرف مكان العصابة ونبلغ الشرطة."

ورد مصطفى معترضًا: "وهل سأقوم بعمل ماكياج لعدد أربعين شخص. لا توجد لدي سوى عشر باروكات فقط. يمكنني أن أغير شكل عشرين شخص فقط بالمكياج الخاص الذي عندي."

وقلت لمصطفى: "إذا فلنختار عشرين ولدًا منا ونضعهم في الأماكن الحيوية الهامة من الحي السابع عند مفارق الطرق الهامة وعند موقف سيارات الميكروباص وعند موقف حافلات الأتوبيسات الكبيرة وعند المتاجر الكبيرة لبيع المواد التموينية حيث من الواضح أن حلمي هو من يشتري الطعام لأفراد العصابة أو أنه أحد من يشترون الطعام للعصابة ولنراقب هذه الأماكن حتى نعثر عليه."

وقال مصطفى: "ولكن هذا سيكون مجهودًا شاقًا جدًا علي."

ورددت عليه: "ماذا! لقد ظننت أنك حقًا تريد العثور على صديقك عبد الله."

ورد مصطفى بجدية شديدة: "طبعًا. هذا أهم شيء في حياتي الآن."

وقلت له: "إذن فنذهب الآن إلى قسم الشرطة لنحدث محمد راجي ونشرح له فكرتنا ونخبره بما توصلنا إليه. لابد أن ترسل الشرطة مخبرين ورجال شرطة يلبسون ملابس مدينة لكي يسألوا حراس

البنايات وأصحاب المتاجر اللذي قالوا لنا أنهم شاهدوا حلمي، كما أن الشرطة هي فقط من يمكنها أن تساعدنا أن نندمج في المحيط بالتنكر الذي ستقوم أنت بتغيير أشكالنا به."

وقال مصطفى: "وكيف ستساعدنا الشرطة يا عبقري؟"

ورددت عليه: "عادي. معظم حراس البنايات وأصحاب المتاجر الذي قالوا أنهم قد رأوا حلمي ولم يذكروا أين قد يدلون بمعلومات أكثر بكثير إذا تم سؤالهم بواسطة رجل شرطة، فهناك فارق كبير بين الثقة في أولاد وشباب صغار يقولون أنهم ينتمون لجمعية لم يسمع بها أحد وبين رجال شرطة يبحثون عن شخص ما. الناس ستثق في الشرطة أكثر بكثير مما وثقت بنا وقد يدلون رجال الشرطة على مكان حلمي لو كانوا يعرفونه."

وأشرت أنا إلى مجموعة من جامعي القمامة المنتشرين في الشارع في الجزيرة الوسطى بين الشارعين الذاهب والراجع أمام متجر الفول والطعمية والأطعمة الشعبية وكانوا يقومون بجمع قطع البلاستيك التي كانت من قبل علب كشري حيث كان بعض الأولاد ممن لا يهتمون بالنظافة يأكلون الكشري ثم يلقون بالعلب الفارغة في الجزيرة الوسطى في منتصف الشارع أمام المتجر. كان كل من جامعي القمامة يحمل على كتفه زنبيل "قفة" يجمع فيه القمامة.

وأشرت أنا إلى جامعي القمامة هؤلاء وقلت لمصطفى: "لو لبست أنا مثلاً ملابس جامع قمامة وحملت زنبيل "قفة" كهذا فلن يقتنع جامعوا القمامة الحقيقيون أنني أفعل ذلك كي أراقب المكان وأبحث عن شخص ما بل سيعتبرونني منافسًا لهم، وشخص يتدخل ليأخذ جزءًا من رزقهم، ووقتها قد لا يترددون في ضربي، ولكن لو قام بعض المخبرين أو رجال الشرطة بالحديث إلى جامعي القمامة الكبار الذين يقومون بتشغيل هؤلاء الصبية في جمع القمامة، فقد نتمكن

من أن نندمج وسط جامعي القمامة الصغار هؤلاء دون أن يضايقنا أحد."

وقال مصطفى: "ماذا! هل تتوقع أن تساعدك الشرطة على أن تعمل مخبرًا وتراقب الناس؟"

وأجبته: "أولاً أن لن أكون مخبرًا. أنا مواطن مهتم والقبض على العصابة هي شيء من حقي وكذلك فأنا لدي مصلحة خاصة فالعصابة خطفت صديقنا عبد الله ويجب أن نعثر عليه."

وأردفت: "ثانيًا، بالتأكيد الشرطة ستساعدني في القبض على العصابة. الشرطة مهتمة بالعثور على عبد الله مثلنا تمامًا. بالعكس هذا عملهم ويجب أن يهتموا بهذا الأمر أكثر مما نهتم به نحن، ولكن طبعًا لديهم الكثير من القضايا والتحقيقات والحوادث وعدد رجال الشرطة مهما كان كثيرًا فهو قليل بالنسبة للواجبات المناطة بهم والحوادث التي يجب أن يحققوا فيها ولهذا فهم لا يتحركون إلا بناءًا على معلومات مؤكدة، فلا يمكنهم على سبيل المثال مثلنا أن يطلقوا أربعين رجلًا من رجالهم يجوبون الشوارع طوال النهار لعلهم يعثرون على حلمي، ولكن لو علموا أن حلمي بالتأكيد موجود في مكان ما فقد يكلفون بعض رجالهم بالتواجد في ذلك المكان، أو قد يساعدون أولادًا مثلنا يبحثون باجتهاد عن حلمي ويحتاجون إلى المساعدة في العثورعليه."

ورد مصطفى: "فكر كما تريد ولكني أراهنك أنك لو تحدثت إلى محمد راجي عن هذا الأمر فسيطردك من قسم الشرطة ولن يصغي لك."

وقلت له: "كلا. أنا أراهنك على العكس. محمد راجي تعاون معنا بالفعل. ألم يضعنا في الصحراء طوال الليل كطعم للإمساك بالعصابة. أنا رأيي أن حظنا الحلو قد تسبب في أننا أصبحنا نعرف ضابط شرطة متفتح وذكي، وسوف يرى بالتأكيد أن بإمكاننا أن نفيده

ويتعاون معنا. أنا رأيي أن نذهب لمقابلة محمد راجي فورًا ونعرفه بخطتنا ونطلب منه رأيه. أظن أن الرائد محمد راجي سيندهش كثيرًا حين يدرك أن حلمي جنح لا يزال يتردد على الحي السابع."

وفجأة ظهر أمامي أنا ومصطفى يمشي في الجزيرة الوسطى دنجل. كان دنجل، وهو طبعًا اسم شهرة فقد كان اسمه الحقيقي هو أشرف، وهو تلميذ قد انتقل إلى الصف الأول الاعدادي معي ولكنه كان أكبر مني بسنتين حيث رسب مرتين في صفوف الدراسة وبقي للإعادة، وكان أطول مني بكثير، بل كان حتى أطول وأكبر حجمًا من مصطفى والذي كان يكبرني بثلاث سنوات، وكان دنجل قوي العضلات للغاية وكان يحب أن يستعرض عضلاته ويمشي كأنه بلطجي.

وصاح مصطفى: "إنه دنجل وبدون فؤاد عباس. ستحدث مصائب كثيرة الآن."

كان دنجل يتحرك عادة مع فؤاد عباس حيث كان يأتمر دائمًا بأوامر فؤاد ولا يجد غضاضة في ذلك، حيث كان فؤاد يعرف كيف يعامل دنجل ويعرف كيف يستخدم قوة دنجل الكبيرة لصالحه وفي نفس الوقت يمنع دنجل من ارتكاب الحماقات والتي كان دنجل عادة يرتكبها بكثرة في غياب فؤاد عباس.

كان دنجل يحمل نفس الصور التي نحملها جميعًا لعبد الله وحلمي جنح وكان يريها لكل من يقابله في طريقه، وأوقف دنجل أمامنا ولدًا في سني تقريبًا وأراه الصور ورأينا الولد يوميء برأسه بالايجاب ثم يهز رأسه بالنفي وبعدها بدأ دنجل يتحدث بعصبية ثم بدأ في ضرب الولد.

أسرعت أنا ومصطفى بعبور الشارع بسرعة ووقفنا بين دنجل والولد الذي يضربه بحيث لا يستطيع دنجل أن يضع يديه على الولد ليضربه من جديد.

وصرخ مصطفى وهو يدفع دنجل إلى الجانب واضعًا أكبر مسافة ممكنة بين دنجل والولد الذي يضربه: "ماذا تفعل يا دنجل؟"

وصرخ دنجل: "وما شأنكما أنتما. أنا أفعل الشيء الصحيح. لقد أريت الصور لهذا الولد وقال لي أنه شاهد احد الشخصين ولما سألته أين شاهده رفض أن يخبرني وقلت له: "سأجعلك تنطق وتخبرني بمكانه."

وسألت أنا الولد الذي كان يضربه دنجل وأنا أبرز أمامه الصور: "أي الصورتين رأيت صاحبها سابقًا؟"

طبعًا كنت أتوقع النتيجة، فلابد أن الولد مثل الباقين رأى حلمي جنح في المنطقة، ولكني طبعًا كنت آمل أن يكون قد رأى عبد الله في سياق ما."

وصاح الولد: "لن أقول لكم. أخي الصغير قد رأني وهذا الولد يضربني وقد جرى بعيدًا ليستدعي أبي وعمي كي يأتيان ويضربانكم."

وصاح مصطفى وهو يكاد يلطم: "ماذا! هذا ما ينقصنا. أن نُضرب بسببك في الشارع يا دنجل."

كان دنجل لا يزال يدفع مصطفى الذي كان يقف تاليًا له في محاولة للوصول للولد كي يضربه ثانية وصاح دنجل: "هذا الولد يستهزيء بي وأنا سأؤدبه."

حاول دنجل الوصول للولد ولكني ومصطفى كنا ندفعه إلى الجهة البعيدة عن الولد وكان دنجل يعترض ويصرخ وهو يحاول أن يزيحنا جانبًا ليصل للولد.

فجأة ظهر فؤاد عباس زميلي أنا ودنجل وصاح فؤاد وهو يرانا ندفع بعضنا البعض: "ما هذا الذي يحدث هنا؟ هل تتشاجرون؟ توقفوا جميعًا. ماذا جرى؟"

الفصل السابع عشر:

شريف لازال يحكي

وتوقف دنجل عن دفعنا واستدار بكليته لفؤاد وصرخ شاكيًا له: "شريف وأخوه يحاولان منعي من تأديب هذا الفتى."

ووضع فؤاد يده على كتف دنجل ليهدؤه وقال: "لماذا تؤدبه؟ ماذا فعل؟"

وقال دنجل: "لقد تعرف على أحد الشخصين الذين أعطيتني صورهما ولكنه لا يريد أن يخبرني بمكانه."

كان من الواضح أن فؤاد، لسبب ما، لم يشارك طوال اليوم في عملية البحث التي جرت منذ بداية النهار، ولا يعرف أن الكثير من الناس قد تعرفوا على صورة حلمي جنح، وسأل فؤاد بفضول وكأن دنجل قد اكتشف شيئًا جديدًا: "صورة من؟"

وأظهر دنجل لفؤاد صورة حلمي جنح وقال له: "تعرف على صورة هذا."

وربت فؤاد على كتف دنجل بقوة مشجعًا له وقال له: "برافو عليك يا دنجل. هوه ده الشغل. لقد أحرزت تقدمًا."

وتهلل وجه دنجل من اطراء فؤاد له وبدا وكأنه قد نسى أنه يريد أن يضرب الولد وتوقفت أنا ومصطفى عن محاولة التحجيز بين دنجل والولد.

وسأل فؤاد عباس دنجل: "إذن لماذا تريد ضرب الولد؟"

وصاح دنجل، وقد تذكر الولد: "إنه يستهزيء بي. يقول أنه لا يعرف أين رآه."

وصاح الولد بحرقة وهو يحدث فؤاد: "والله أنني لا أذكر أين رأيته. قلت له لا أذكر أين رأيته وعندها بدأ يضربني وكأنه بقرة. هل هو مجنون أم ماذا؟"

وصاح دنجل وقد بدأ يتقدم نحو الولد ليضربه من جديد: "هل رأيت قلة أدبه؟"

وربت فؤاد بهدوء شديد على كتف دنجل وقال له: "دعه. إنه يبدو وكأنه لا يعرف مكان الفتى الموجود في الصورة فعلاً."

وتوقف دنجل عن محاولة الوصول للولد لضربه وارتحت أنا ومصطفى من التحجيز مرة ثانية، وقال فؤاد بهدوء يحدث الولد المضروب: "آسف لما حدث يا أخي. دنجل لا يقصد شيئًا. إنه فقط من النوع المتحمس سريع الانفعال. لا تتضايق منه فهو طيب وقلبه أبيض."

وصاح الفتى: "وما شأني أنا بلون قلبه؟ أبيض أو أسود!"

ظهر على دنجل الغضب وبدأ يحاول الامساك بالولد ثانية وبدأنا نحن ندفعه بعيدًا عن الولد.

ولكن فؤاد وقف بين دنجل والولد ووضع يده على كتف الولد بمودة وقال له: "استمع لي أنا. ما اسم الكريم؟"

وكان طبعًا يسأل الولد عن اسمه

ورد الولد: "ياسر."

ورد فؤاد: "عاشت الأسماء يا ياسر. اقبل اسفي وأسف دنجل كذلك، فنحن جميعًا أخوة. قبل رأسه يا دنجل."

تراجع الولد إلى الخلف وكأنه معترض على أن يقبل دنجل رأسه، وبدا دنجل مترددًا ولكن فؤاد دفعه بهدوء نحو الفتى وقال له: "هيا يا دنجل. قبل رأسه. إنه مثل أخيك تمامًا. هيا."

وانقض فؤاد على الفتى وجذبه إليه بقوة لدرجة أن الفتى تأوه من الألم، وقبله دنجل في رأسه رغمًا عنه كما طلب فؤاد تمامًا."

وقال فؤاد مبتسمًا للولد ومثنيًا على دنجل: "دنجل هذا نسمة وسترى أنه سيكون كأخيك تمامًا. صافحه كي ينتهي ما بينكما من عداء."

ومد الولد ياسر يده وسلم على دنجل.

وقال فؤاد: "أنا ودنجل وشريف، وأشار إلي، في الصف الأول الاعدادي، وندرس في مدرسة كذا."

وذكر فؤاد اسم مدرستنا.

ثم سأل ياسر: "وانت يا ياسر أين تدرس؟"

وذكر ياسر اسم أحد المدارس القريبة وقال أنه في الصف الأول الاعدادي أي مثلي ومثل فؤاد ومثل دنجل ولكن حجم ياسر كان في مثل حجمي تقريبًا.

وقال ياسر: "أبي يعمل حارسًا لإحدى البنايات هنا وأنا أساعده في فترة الصيف."

وسأل فؤاد ياسر: "ألا تستطيع يا ياسر أن تتذكر أين رأيت الرجل الذي نبحث عنه والذي تعرفت على صورته؟"

وقال ياسر: "الحق أنني لا أذكر ولكني لو كنت أذكر لما ساعدتكم، ليس بسبب أن صديقكم ضربني حيث أنني قد تصالحت معه الآن ولكن بسبب أنه لا أحد يصدق قصتكم هذه عن جمعية تصالح بين الناس المفقودين وأهليهم وتدل فاقدي الذاكرة على أهليهم، وهذا معناه أنكم لو طلبتم مني أن أساعدكم في البحث عن الفتى صاحب الصورة فلن أفعل ذلك، فما أدراني أنكم لا تريدون به شرًا."

وقال فؤاد بابتسامة متسامحة: "هذا حقك طبعًا ولا أحد يريد اجبارك. أنا لم أعرفك بنفسي. اسمي فؤاد عباس واسكن في العمارة الخضراء التي لابد أنك تعرفها في بداية الشارع."

ثم أشار إلى دنجل وقال: "وأخوك هذا اسمه أشرف."

وأردف فؤاد: "نحن ندعوه "دنجل" وقد بدأ اطلاق هذا الاسم عليه منذ الحضانة وهو يحب هذا الاسم وقد أمرنا الاسلام أن ننادي المرء بأحب الاسماء إليه."

وأشار فؤاد إليّ وإلى مصطفى وقال: "وهذان هما أخواك شريف ومصطفى وهما أخوان شقيقان يعيشان مثلنا جميعًا في مدينة الأزهار." ومددت أنا ومصطفى أيدينا وسلمنا على ياسر.

كتب فؤاد شيئًا على ورقة وقال لياسر: "هذا رقم هاتفي. أنا أشعر أنك فتى شهم وحديثك يدل على أنك شهم وأسلوبك يدل على أنك شهم، فأنت صريح ولا تخفي نواياك. أنا لا أستطيع أن أخبرك بالحقيقة في رغبتنا في العثور على ذلك الشاب الذي تعرفت أنت على صورته ولكن لو رأيته احترس منه ولو استطعت أن تتبعه وتخبرني بمكانه فأرجو أن تفعل ذلك."

ظل الفتى ياسر صامتًا وكأنه يفكر ثم قال: "حسن. سأفكر وأرى ما سأفعله. سأذهب الان."

ومد ياسر يده وسلم علينا نحن الأربعة ثم عبر الشارع ودخل بناية قريبة من متجر سندوتشات الفول والطعمية الذي كنا نقف أمامه.

شريف مازال يحكي

بعد ذلك اللقاء لنا مع ياسر ذهبت مع مصطفى إلى قسم الشرطة حيث قابلنا الرائد/ محمد راجي والذي تحمس كثيرًا عندما عرف أن حلمي جنح يتردد على الحي السابع وقال أنه سيرسل المخبرين التابعين له ليتعرفوا على الرؤساء الكبار الذين يديرون جامعي القمامة الصغار وأنه سيرتب لنا أن نندمج وسطهم بعد أن نتنكر ويغير مصطفى شكلنا قليلاً بواسطة باروكات الشعر والماكياج الذي يمتلكه.

في اليوم التالي كنا جالسين في صالة الجريدة حيث نعمل. كنت أنا وحسن قد عدنا لتونا من أحد المشاوير التي قمنا بها للجريدة ووجدنا مصطفى في الجريدة، وكانت البنتان في مقعدهما الأزليين بجانب الكمبيوترين. كان مصطفى يحكي للبنتين عما حدث لنا بالأمس وعن دنجل وكيف أمسك بالولد ياسر الذي تعرفنا عليه بالأمس وبدأ يضربه لمجرد أن الولد قد قال له أنه لا يذكر أين رأى حلمي جنح.

كان مصطفى قد عاد مرة أخرى لحيويته وذهب عنه الحزن والاحساس بالعجز الذي سيطر عليه بعد أن تم خطف صديقه عبد الله، فقد كان يفعل شيئًا يأمل أن تكون نتيجته هو استعادة عبد الله. كان الرائد محمد راجي قد تحدث إلى أمي وطلب منها أن تسمح لنا أن نساعد الشرطة في العثورعلى عبد الله باعتبار أن ذلك هو عمل انساني، ووافقت أمي على الأمر باعتبارها مساعدة في حل مشكلة

انسانية ولكنها بقيت قلقة كثيرًا وإن كنا نحن جميعًا قد أكدنا لها أن الأمر بسيط وأننا سنحترس ولن يحدث لنا شيء.

عندما دخلت أنا وحسن كان مصطفى يحكي للبنتين عن دنجل ثم سألت دينا مصطفى: "وهل ستغير شكل ذلك الفتى المسمى دنجل بواسطة الماكياج مع تغييرك لشكل الجميع."

ورد مصطفى: "طبعًا. أنا مضطر لذلك وإلا فإن هذه المجنون يمكن أن يضربني مثلاً. لقد عرف أن الكثيرين سيتنكرون كجامعي قمامة وقد أثارته الفكرة جدًا، وآتاني إلى البيت وتعلق بي وأخذ يقبلني ويتوسل إلى أن أغير شكله بالماكياج وقد أجريت له بروفة ماكياج بالفعل."

وأردف مصطفى وهو يضحك: "لما أجريت له بروفة الماكياج لأرى كيف يمكنني تغيير شكله كان سعيدًا جدًا وفرحان وأراد أن يعود إلى بيته بالملابس الممزقة التي البسته إياها وظللت أتوسل إليه لمدة ساعة كي يخلع تلك الملابس ولا يلبسها إلا في اليوم المحدد لذلك، وظل يحتضنني ويقبلني بقوة كلما نظر في المرآة ورأى شكله مبهدل وكأنه متسول. لقد سُر سرورًا كبيرًا وقد تعبت حتى أفهمته ألا يجعل والدته تكوي له تلك الملابس أو تنظفها، ووعدته بتغيير شكله مرة ثانية في اليوم المحدد لذلك صباحًا وبصعوبة شديدة سمح لي بازالة الماكياج عن وجهه وشعره في يوم البروفة."

وقالت سلمى: "أنا لا أعرف لماذا يجب أن يبدو غير مهندم وممزق الثياب. الكثير من جامعي القمامة في هذه الأيام يبدون نظيفين تمامًا وملابسهم مثل ملابس جميع الناس."

ورد مصطفى: "في الواقع هذه هي الحقيقة ولكني أسعى إلى عمل الشكل التقليدي لجامع القمامة، طبقًا لما استقر في أذهان الناس من أنه شخص شعره منكوش وغير مهندم ويلبس ملابس ممزقة، ولو

أن الملابس الممزقة موضة في هذه الأيام، ولكن كل من الأولاد المتنكرين كجامعي قمامة سيستلم في ذلك اليوم زنبيل "قفة" من ذلك المكان الذي تم تحديده لنا بواسطة الشرطة في الحي السابع وستكون هذه هي العلامة الرئيسية لكل منهم بصفته جامع قمامة."

وسألت دينا: "بالنسبة لدنجل. قد يتشاجر في الغد في وسط الشارع ويلفت لكم الأنظار."

ورد مصطفى: "الخطة هي أننا سنثبته في مكان واحد بعيد عن منطقة البحث، أي أننا سنحدد له مكانًا لا يجب أن يتحرك بعيدًا عنه. ولكن طبعًا لو انضم فؤاد عباس إلى فريق البحث فيمكن السماح لدنجل بالحركة معه حيث أن فؤاد يستطيع دائمًا السيطرة على دنجل. فؤاد ليس على ما يرام فلديه بوادر اصابة بالبرد وقد قررت ألا أغير شكله بالماكياج وهو قال أنه لو أتى فسيلبس ملابس غير مهندمة وسيرافق دنجل والذي سيتم تغيير شكله بالماكياج وسيحمل زنبيل مثل جميع أفراد المجموعة المختارة."

وسألت سلمى: "ألا توجد طريقة تستطيعون أن تقنعوا بها دنجل أن يظل في بيته؟"

ورد مصطفى: "لا توجد طريقة أبدًا. إنه متحمس للغاية وفرحان جدًا بمنظره المتشرد بعد أن أجريت له التنكر. يذكرني بطفل صغيرجدًا اشتروا له بدلة ضابط ليلة العيد وهو ينتظر بفارغ الصبر كي يلبسها في اليوم التالي. سنضطر أن نحدد له منطقة ونثبته فيها وأمرنا لله."

وقلت أنا لها: "على العموم لا أظن أن فؤاد سيتركنا وحدنا غدًا، فالكثير من أعضاء فرقته مشاركون في البحث. في الأغلب الأعم سينضم لمجموعة البحث ووقتها سيلازم دنجل ولن يتركه وحده.

الفصل الثامن عشر:

شريف مازال يحكي

كان المكان المحدد لي هو موقف أتوبيسات الحي السابع بمدينة الأزهار. في بداية النهار كان لدي الكثير من الطاقة وكنت أتظاهر بأنني جامع قمامة وألتقط قطع القمامة من الأرض وأضعها في الزنبيل "القفة" الذي كنت أحمله وكل فترة كان يمر جامع قمامة بالغ يدفع أمامه عربة حديدية أو بلاستيكية على عجلات "دواليب" أو كانت تمر سيارة نقل كنت أفرغ الزنبيل في العربة التي يدفعها الأول أو أعطي الزنبيل لمن يجلسون فوق السيارة النقل ليفرغوه ويعطوه لي ثانية.

بحلول الظهيرة كنت قد تعبت فلم أكن معتادًا على مثل ذلك العمل الشاق. لم يشغلني العمل عن البحث عن حلمي وهي المهمة الأساسية التي كنت مكلفًا بها. كنت كلما رفعت رأسي وقد التقطت شيئًا من الأرض أتفرس في وجوه الناس لعلني أرى حلمي واستمررت أفعل ذلك طوال النهار.

بعدما تعبت، قررت أن أتوقف عن جمع القمامة، وجلست على حجر كبير وسط الأتوبيسات في الحي السابع ولكنه كان في الظل. كنت أنظر إلى الأرض وأتعجب من سرعة تكاثر القمامة حيث كان الناس يلقون المناديل الورقية المستعملة وأغلفة قطع الشيكولاتة وعلب الكشري المستعملة وتذاكر الأتوبيسات التي ركبوا بها بشكل منتظم على الأرض، وتعجبت من أنني لم ألاحظ ذلك قط من قبل، ولم ألاحظ أبدًا أن الناس يفعلون ذلك إلا عندما أصبحت مهمتي هي جمع القمامة التي يلقيها الناس، ورفعت رأسي لأجد، ويا للهول، دنجل يحمله زنبيله "قفته" ويجلس إلى جواري.

وقال وهو يضحك: "شريف. أهذا أنت؟ أنت هنا؟"

وأجبته ببساطة: "نعم"

وقال دنجل بفخر وسعادة شديدين: "الناس هنا جميعًا يعاملونني وكأنني جامع قمامة. أنا تنكري متقن للغاية."

وضحكت، فردود فعل دنجل هي المثال الواضح لردود أفعال الأطفال، وقلت له: "برافو يا دنجل."

ضحكت وابتسمت في وجه دنجل ولكني طبعًا كنت أتوجس خيفة من المصائب التي سيفعلها وسألته بدون أن أظهر قلقي: "أين فؤاد؟"

وقال دنجل: "لقد أتى وشاركني في جمع القمامة في الصباح الباكر في مكان قريب من هنا، ولكنه أحس بالتعب وذهب إلى منزله. قال لي لو أردت منه شيئًا أن أحدثه على هاتفه المحمول. حاولت أن أحدثه على هاتفه المحمول ووجدته لا يرد. حدثته على الهاتف الأرضي لمنزلهم وردت علي أمه وقالت أنه نائم ومريض وهي لا تريدني أن أزعجه وقالت لي ألا أذهب إلى بيتهم لزيارة فؤاد بل أتركه حتى يستريح."

أخرج دنجل هاتفه المحمول وقام بتصوير نفسه ثم نظر دنجل إلى صورته في الهاتف بفخر شديد ثم قال: "أخبر مصطفى أنه في المرة القادمة فأنا لا أريد أن أتنكر في زي جامع قمامة. يجب أن نغير التنكر في كل مرة. إما أن يجعلني أتنكر في زي قرصان أو يجعلني ألبس زي ضابط شرطة."

وتظاهرت أنا أنني لم أسمع جملته الأخيرة.

وأخرج دنجل صورة حلمي جنح وأخذ ينظر إليها بشكل علني، وقاومت رغبتي العارمة في أن أخذ الصورة من يده، حيث أنني قدرت أنه سيمل من ذلك خلال دقائق وسوف يدخلها داخل ثيابه ثانية، ولهذا لم أفعل شيئًا.

وسألني دنجل: "لماذا يريدون أن نعرف مكان هذا الرجل؟"

وسألته: "ألم يخبرك فؤاد؟"

قال: "لا. لم يخبرني. لقد سألته ولكنه قال أن سيخبرني فيما بعد ثم أحس بالتعب وذهب ولم يخبرني، وأنت. ألا تريد أن تخبرني؟ هل الأمر سر؟"

وطبعًا لو قلت له أن الأمر سر فسوف يصر دنجل وقتها على أن يعرف ما هو السر.

ولهذا قلت له: "إنه صديقي أنا. لو رأيته في أي مكان لا تظهر له أنك تبحث عنه. فقط تعال وأخبرني أنا، حيث أنني أريد أن افاجئه مفاجأة سارة."

وقال دنجل: "ولماذا تريد أن تفاجئه؟"

وأجبته: "هكذا لأننا أصدقاء. أحب أن افاجئه. هل تفعل ذلك من أجلي يا دنجل؟ إذا رأيته لا تخبره أنك رأيته وأنني أبحث عنه. أخبرني أنا فقط وسوف أفاجئه."

ورد دنجل: "تمام. اتفقنا يا عم. خلاص اتفقنا."

أمامنا وقف رجل من النوع المتنمر المتذمر دائمًا ونظر إليّ وإلى دنجل شزرًا ثم صرخ بنا: "كل هذه القمامة في الشارع وأنتما تجلسان في الظل. قوما وأعملا ونظفا المكان فهذا عملكما."

وصاح دنجل بصوتٍ عالٍ أمامي وأمام الرجل: "فؤاد قال لي أنه لو اعترض أحدهم على كوني لا أعمل فعليّ أن أقوم من مكاني وأضع بعض القمامة في الزنبيل أمام ذلك المتحدث وأتظاهر بأنني أعمل ولا أتشاجر معه."

ورددت عليه: "برافو يا دنجل، وأنا سأفعل نفس الشيء مثلك تمامًا."

وظهرت الدهشة على وجه الرجل وهو يراني أنا ودنجل، بعدما قلنا هذا الكلام بشكل علني أمامه، نتحرك ونجمع علب الكشري الخالية والعلب البلاستيكية وعلب المشروبات المعدنية والمناديل الورقية المستعملة الملقاة على الأرض وغيرها من الأشياء ونضعها في الزنبيلين اللذين نحملهما.

بعد فترة قصيرة أدار الرجل ظهره لنا وذهب بعيدًا.

وما إن وجدته يذهب بعيدًا حتى جلست على الحجر ثانية فقد كنت متعبًا للغاية بينما استمر دنجل في جمع القمامة وتحرك وسط الأتوبيسات وهو يجمعها. كان دنجل ما شاء الله لا قوة إلا بالله في منتهى القوة ولم يكن يبدو متعبًا على الاطلاق.

وفجأة صرخ دنجل بصوت ملؤه الحبور: "شريف! يا شريف! صاحبك أهو. صاحبك أهو "هاهو صديقك. هاهو صديقك."

ونظرت إلى الزجاجي الخلفي لأحد الأتوبيسات المتوقفة حيث كان دنجل يشير وإذا بحلمي جنح يقف وحيدًا في الجزء الخلفي من الأتوبيس. كان واقفًا وحده ولم يكن هناك أحد حوله، واستمر دنجل في الصراخ والاشارة إليه بطريقة لا يمكن أن يخطيء المرء معها ويظن أن دنجل يشير لشخص أخر. كان دنجل ينظر لي ويشير لحلمي بأصبعه ويقفز في فرح وهو يصرخ "هاهو صديقك. هاهو صديقك."

والتفت من دنجل إلى حلمي لأجد حلمي ينظر إليّ.

أسرعت بالجري لأقف خلف الأتوبيس الذي كان يقف خلف الأتوبيس الذي يقف فيه حلمي بحيث لا يراني حلمي وإن كان حلمي

قد رأى نظرتي المصدومة حين نظر إليّ. وطبعًا كان جريي لاختبيء خلف أتوبيس هذا سلوكًا يثير الريبة والشك بشدة ولكن وقوفي في مكاني ودنجل يشير لحلمي بأصبعه وينظر إليّ لم يكن أمرًا معقولاً. هل عرف حلمي أننا نبحث عنه؟ آمل أن يكون صغر سن دنجل سببًا في جعل حلمي لا يأخذ الأمر على محمل الجد. لو علم حلمي أن هناك قومًا يبحثون عنه فقد يختفي ولا نستطيع أن نجده ثانية.

ومع حركتي هذه والتي كان ولابد أن ينتبه لها أي انسان عنده ربع عقل فقد استمر دنجل ينظر إليّ بينما أصبعه تشير إلى حلمي وهو مازال يصرخ في سعادة وحبور شديدين: "هاهو صديقك. هاهو صديقك." كان موقفًا لا يمكن تخيله ولا تخيل أن تجد نفسك فيه.

وهمست لنفسي بصوت خافت في غضب مكتوم: "يا أخي كف عن النظر لي والاشارة باصبعك إليه. كيف ذهب فؤاد وتركك هكذا؟"

ورأى دنجل أنني لم أستجب له ولم أذهب لمقابلة حلمي كما كان يتوقع وعندما ترك مكانه وأتى لينظر إليّ أشرت إليه اشارة بوضع أصبعي السبابة قائمًا أمام فمي كعلامة على السكوت وأشرت إليه أن يأتيني حيث كنت مختبئًا خلف الأتوبيس."

وحين أتاني دنجل وهو مندهش قلت له: "انتهى الأمر يا دنجل. لا تحدث صوتًا."

وقال دنجل وهو يهمس وطبعًا كان الهمس مناسبًا جدًا وقتها بعدما فضحني: "ماذا! أليس بصديقك؟"

وأجبته: "كلا. إنه لا يبدو وكأنه هو. هو يشبهه فقط."

ثم خلعت الزنبيل وقلت لدنجل متوسلاً: "دنجل. صديقي العزيز. أود أن أعيد هذا الزنبيل إلى صاحبه. كذلك اليوم بالنسبة لك قد انتهى وستحتاج إلى اعادة الزنبيل الذي تحمله إلى صاحبه. أنا متعب

للغاية. هل يمكنك أن تأخذ زنبيلي وزنبيلك وتعيدهما إلى مالكهما يا صديقي؟"

وتأثر دنجل والذي كان فعلاً ولدًا طيبًا بتوسلي له ورد دنجل: "حسنًا. يمكنني أن أفعل ذلك ولكن أين مالك الزنابيل؟"

وقلت له: "إنه الولد الذي تشاجرت معه بالأمس. ياسر. هل تذكره؟"

ورد دنجل: "ياه. إن مكانه بعيد جدًا."

كان علي الآن أن أتخلص من دنجل بأية طريقة ممكنة حتى أستطيع تتبع حلمي وقلت لدنجل وأنا أستحثه ليذهب إلى ذلك الولد ياسر: "إن لدي غرض أخر كذلك. أريد أن أعرف هل يتعرف عليك ذلك الولد أم لا، فإذا كان تنكرك متقنًا فلن يعرفك. تخيل. الولد رآك منذ أيام قليلة واليوم بعد التنكر لا يعرفك."

وتهلل وجه دنجل وهو يقول: "أتظن أنه لن يعرفني؟"

وضحكت أنا ضحكة خبيثة وغمزت له بعيني وأنا أقول: "لا أظن."

وضحكت ثانية وضحك معي دنجل بسعادة كبيرة.

وقلت لدنجل: "نحن نحتاج إلى أن نعرف فقد نحتاج أن نجعلك تتنكر بعد ذلك ويجب أن نعرف هل سيعرفونك بعد التنكر أم لا. هذه فرصتنا. الولد رآك منذ أيام قليلة ولابد أن لا يزال يتذكرك. إذهب إليه ولا تسأله إن كان يعرفك أم لا، بل تظاهر أنك جامع للقمامة فعلاً وأعطه الزنبيلين الخاصين بي وبك ثم أذهب إلى فؤاد وأخبره بالخبر هل تعرف عليك الولد أم لا."

وقال دنجل بصوت بائس: "لن أستطيع أن أذهب إلى بيت فؤاد. أمه قالت لي ألا أذهب لبيتهم وقالت أن فؤاد يحتاج إلى الراحة."

ورددت عليه: "هذا كان في الصباح. لابد أن فؤاد قد ارتاح الآن واستيقظ من نومه. اذهب إليه واخبره إن الولد ياسر قد تعرف إليك أو أنه لم يتعرف عليك حسب الحالة. سوف نضحك كثيرًا إذا تبين أن ذلك الولد لم يتعرف عليك."

وضحت أنا ودنجل ثم حمل دنجل الزنبيلين "زنبيلي وزنبيله" واتجه نحو بيت الولد ياسر وهو يشير لي بيده اشارة الوداع.

وأشرت إليه بإشارة الوداع كذلك.

الفصل التاسع عشر:

شريف لازال يحكي

انتظرت قليلاً في مكاني حتى ابتعد دنجل ولم يعد يراني ثم نظرت إلى الزجاج الخلفي للأتوبيس الذي كان يركبه حلمي وأنا أرجو أن أجد حلمي لا يزال واقفًا به.

كان حلمي واقفًا بالأتوبيس وحوله الكثير من الناس، فقد بدأ الركاب يزدحمون داخل الأتوبيس في الموقف، وقدرت أنني لو اندسست وسط هؤلاء الناس فلن يراني حلمي فورًا. انتظرت حتى صعد محصل التذاكر إلى الأتوبيس وهذا معناه أن الأتوبيس يوشك على التحرك وأسرعت أركب خلفه وتحرك الأتوبيس وأنا معلق على السلالم الخلفية للأتوبيس حتى لا يراني حلمي.

بقيت معلقًا على السلالم الخلفية وفجأة وجدت شخصًا يقفز على درجة السلم خلفي ويتعلق بالعمود المجاور لي على السلالم ويقف خلفي ودفعني أمامه وصاح: "يا ولد. أنت وزنك خفيف وأي شيء يمكنه أن يسقطك. ادخل إلى داخل الأتوبيس."

وصحت عاليًا كي يسمعني فوق صوت الشارع والأتوبيس: "حضرتك حاول أن تتخطاني وتدخل أنت. أنا لا أريد أن أدخل إلى داخل الأتوبيس."

كانت خطتي أن أتعلق هكذا على السلالم الخلفية للأتوبيس وحين ينزل حلمي من السلالم الأمامية للأتوبيس بجانب السائق، حيث أن الناس في الأتوبيسات عادة يركبون من الخلف وينزلون من الأمام، أقفز من الأتوبيس وأتبعه.

وصاح بي الرجل: "أنا أعرف أنك تتهرب من دفع ثمن التذكرة. سأدفعها لك ولكن أدخل الآن."

وصحت به: "كلا. أنا لا أتهرب ولكني لا أريد حقيقة أن أدخل إلى داخل الأتوبيس. مكاني هنا يناسبني."

وصاح بي الرجل: "أنت ولد صغير لا تعرف مصلحتك. لن أتركك تضر نفسك. تحرك أمامي إلى الداخل."

وطبعًا مع هذا الاصرار الشديد لرجل بالغ يقف خلفي اضطررت إلى الدخول إلى داخل الأتوبيس. دخلت وأنا أركز اهتمامي على العثور على حلمي وما إن دخلت قليلاً إلى داخل الأتوبيس حتى وجدته أمامي. كان واقفًا وكان يعطيني جنبه وينظر إلى زجاج الأتوبيس ولم يرني. كان يلبس قميص جينز أزرق أنيق وتحته بنطلون جينز أخضر وحذاء رياضي أبيض جديد.

تراجعت إلى الخلف لاضع عددًا من الناس بيني وبين حلمي وأصبحت لا أراه ولكن نظري كان مركزًا على الطرف السفلي لبنطلونه الجينز الأخضر وحذاءه الأبيض وطالما كنت أراهما كنت أعرف أنه مازال يقف مكانه، ومن وقت لأخر كانت تحدث حركة بين الناس الواقفين بيني وبينه وكنت أراه يقف بالجنب.

طبعًا لم يكن شكلي يشبه أشكال من يركبون الأتوبيس عادة، فقد كنت أرتدي على رأسي تلك الباروكة من الشعر المنكوش الذي يبدو متسخًا والتي ثبتها مصطفى جيدًا على رأسي وكنت أرتدي بنطلونًا ممزقًا، ليس بتلك الطريقة التي تعتبر موضة في هذه الأيام، ولكن بشكل يدل على الفقر الشديد وكان مصطفى قد مسح بالبنطلون بعض الطين ليضفي عليه صفة الفقر وعدم العناية ويبدو مستهلكًا وكذلك كان حذائي مثقوبًا تخرج منه بعض أصابعي.

هبطت يد على ياقة قميصي من الخلف وكنت أرتدي أحد القمصان العادية الخاصة بي ولكن مصطفى قام بجعله يبدو متسخًا ومسح به

بعض الطين بشكل فني بحيث يعود ذلك القميص صالحًا لألبسه بعد ذلك بعدما أغسله حيث أنه كان أحد قمصاني المفضلة.

أقول هبطت يد ثقيلة على ظهر ياقة قميصي من الخلف وسمعت صوتًا يقول: "ما الذي يجعلك تركب هنا؟"

طبعًا كان هذا هو محصل ثمن التذاكر وكان تركيزي على تتبع حلمي قد أنساني أن أبحث عن المحصل وأشتري تذكرة بمجرد ركوبي كي أنفي عن نفسي محاولة التملص من دفع ثمن التذكرة."

نظرت للمحصل في غضب وقلت له: "من فضلك. اتركني. كم ثمن التذكرة؟ سأدفع ثمن التذكرة. أنا فقط نسيت أن أبحث عنك بمجرد ركوبي الأتوبيس لأشتري منك تذكرة. ليس لك الحق في أن تمسك بي هكذا."

وصاح المحصل بغلظة: "أي حق لك يا أبا حق. لابد أنك نشال ركبت الأتوبيس كي تسرق الركاب."

وقلت له وقد تعمدت ألا أسُتفز وأن أرد بشكل هاديء: "أنا لست نشالاً. أنا مواطن عادي ولكني صغير السن قليلاً."

وصاح بي المحصل مستهزءًا: "ولماذا تركب الأتوبيس يا مواطن يا صغير؟"

وأجبته باستهزاء مماثل: "أنا عائد إلى بيتنا. كيف سأعود؟ هل سأطير مثلاً؟ لابد أن أركب مواصلة ما."

وصاح المحصل: "هذه أول مرة أراك فيها. لابد أنك نشال."

ولدهشتي وجدت بعض الركاب يدافعون عني فقال رجل متقدم في السن كنت أقف بجانب الكرسي الذي يجلس عليه: "هذا الصغير

ليس نشالاً. منذ أن ركب الأتوبيس وهو واقف في مكانه. لم يتحرك ولم يحاول أن يندس وسط الركاب. ربما كان شكله غير مهندم ولكني لا أظن أنه لص."

وصاح الكمساري مدافعًا عن وجهة نظر: "إذن فلماذا يركب الأتوبيس وهو يلبس هكذا؟"

ورد الرجل الجالس في الكرسي خلف الرجل الأول الذي دافع عني: "كذلك أسلوبه يدل على أنه ابن مدارس."

وصاح المحصل: "ابن المدارس لا يلبس هكذا."

وقال رجل أخر: "لعلها ظروفه فقط يا حضرة المحصل. هو قال أنه سيدفع الأجرة، وهذا كل ما لك عنده، فالمفروض أن كل ما يهمك هو دفع الركاب للأجرة وليس الحكم عليهم بسبب أشكالهم."

ووجدت الرجل الذي كان يقف خلفي على السلالم الخلفية للأتوبيس وأجبرني على الدخول إلى داخل الأتوبيس يمد يده إلى المحصل ببعض المال وصاح: "هذا الولد معي وهاهي أجرة تذكرته."

أظن أن الرجل كان قد تقدم إلى داخل الأتوبيس حيث أن المحصل كان يقف كما يبدو في مقدمة الأتوبيس بجانب السائق عندما دخلنا إلى داخل الأتوبيس ولعله نسى أو لعله كان سينزل في محطة قريبة ولهذا تقدم إلى الأمام في الأتوبيس ولكنه عندما انتبه للضجة المحيطة بي رجع إلى الخلف ليدفع لي ثمن التذكرة كما وعدني.

وقلت أنا للمحصل: "حضرتك. لا تأخذ منه المال. أنا معي مال ولا أقبل أن يدفع لي أحد ثمن تذكرتي."

ومددت يدي إلى المحصل بعشرة جنيهات، أخذ منها المحصل خمسة وأعاد لي خمسة.

ورأيت الركاب الذين تابعوا حكايتي مع المحصل يبتسمون من حولي وابتسمت أنا بدوري فقد أثبتت براءتي ولكني تنبهت إلى أن الغرض من ركوبي هو متابعة حلمي والتفت حولي أبحث عنه.

كان حلمي جنح يقف أمامي تمامًا في مواجهتي وكان ينظر لي بريبة شديدة وتركيز. ودعوت للمحصل في سري أن يسامحه الله فقد جذب اهتمام جميع الركاب إلي وبالطبع كان منهم حلمي والذي كان قد رآني من قبل حين فضحني دنجل.

لفت وجهي بعيدًا عن حلمي وبدأت أنظر من زجاج نوافذ الأتوبيس وتظاهرت أنني لا أنظر إليه.

كنت أتحفز كلما بدأ الأتوبيس يهديء السرعة في انتظار أن يتحرك حلمي للنزول في محطة الأتوبيس القادمة ولكن المحطات مرت الواحدة تلو الأخرى ولم ينزل حلمي.

وأتت محطة أخرى وانتظر حلمي حتى مرت وتوقفت أنا عن التحفز للنزول خلفه ثم أسرع حلمي يدفع الناس وصرخ بالسائق: "هنا. هنا. أوقف الأتوبيس أيها السائق."

وفتح السائق الباب لثواني لينزل حلمي وأنا مازلت واقفًا في مكاني فلو تحركت عند حركة حلمي لزادت ريبته فيّ ولكن بمجرد أن نزل حلمي أسرعت أنا أدفع الركاب متجهًا إلى الباب الأمامي وصحت بالسائق: "لقد مرت محطتي. أنزلني. أنزلني."

واستمر السائق في المضي أمامًا لفترة وصرخت: "أرجوك افتح الباب. لقد سمحت لراكب بالنزول. المساواة فضيلة. افتح لي الباب لأنزل أنا أيضًا."

فتح السائق الباب ونزلت، وصاح السائق في الركاب في غضب وأنا أنزل: "هل أنتم نائمون؟ هذه آخر مرة أتوقف في غير مكان المحطة

تمامًا. انتبهوا وأيقظوا النائمين، ولينتبه كل لمحطته. لن أقف ثانية في غير مكان المحطة."

عند نزولي إلى الشارع كان حلمي قد اختلفى عن الأنظار. أسرعت أجري كالمجنون بكل قوتي في الاتجاه الذي مضى فيه حلمي. جريت إلى نهاية الشارع ثم نظرت يمنة ويسرة وأنا أعبر الشارع العريض ورأيت حلمي يمشي بعيدًا جدًا. تحركت نحوه بسرعة ولكني كنت أحرص على الاختفاء خلف السيارات العديدة التي كانت مرصوصة على جانبي الشارع.

ظل حلمي يمشي حتى وصل إلى ساحة مكشوفة ذات سور منخفض. كان بالساحة فقط وحدة سكنية أرضية صغيرة ربما كانت عبارة عن غرفة واحدة وحمام مثلاً. اقتربت منها ثم اختبأت خلف سيارة عبر الشارع بحيث لا يراني حلمي ووقفت أراقبه من بعيد.

أخرج حلمي من جيبه مفتاحًا أولجه في ثقب القفل الخاص بباب تلك الوحدة ودخل إلى الداخل وأغلق الباب خلفه.

كان هناك غسيل منشور على حبل في الساحة ودخل حلمي تلك الوحدة السكنية لدقائق ثم خرج وهو يحمل سلة غسيل وجمع الغسيل من على الحبل ودخل إلى داخل تلك الوحدة السكنية ثانية مما أكد ظني أن هذا هو مكان سكن حلمي.

انتظرت قليلاً لأتأكد من عدم خروج حلمي من البيت واتصلت بالرائد محمد راجي لكنه لم يرد علي.

تركت رسالة لمحمد راجي على هاتفه المحمول ثم اتصلت بحسن. أنا لم أر حسن منذ الصباح حيث كان حسن هو المنسق لعملية البحث في الحي السابع وقد خصص لنفسه شارعًا كي يجوبه منذ بداية

النهار حتى آخره بحثًا عن حلمي جنح ولابد أنه مازال هناك وطبعًا لم يكن لدي أي وسيلة للتحقق من ذلك فحسن لم يرد علي بدوره.

اتصلت بمصطفى والذي كان لا يزال بالحي السابع ورد علي مصطفى وقلت له: "مصطفى أنا أمام بيت حلمي جنح."

ورد علي مصطفى قائلاً: "كيف! ما الذي حدث؟"

أخبرت مصطفى بالأمر كله باختصار وكيف أنني رأيت حلمي جنح في موقف أتوبيسات الحي السابع ولم أجد أحدًا حولي من رجال الشرطة أو من الأولاد لأخبره بالأمر وبالتالي تبعت حلمي حتى أعرف مكانه.

ورد مصطفى: "ممتاز. لنعط عنوان بيته للشرطة وهم يراقبونه. ألم تتصل بمحمد راجي؟"

وأجبته: "اتصلت به وهو لا يرد. نحن لا نعرف فقد تكون هذه هي آخر مرة يأتي فيها حلمي إلى هذا المكان. لا يمكننا الاعتماد على أن حلمي سيأتي إلى هذا المكان ثانية. يجب أن نتابعه نحن، كذلك فإن لدي مشكلة. لو خرج حلمي من بيته الآن فلن أستطيع أنا أن أتابعه فقد حدثت تعقيدات وعرف شكلي وقد نظر إليّ بشك وتركيز كبيرين في الأتوبيس حيث اجتذب المحصل انتباه الناس نحوي. لا يمكنني كذلك أن أظل واقفًا هنا لفترة طويلة. لو بقيت طويلاً فقد ينتبه لي سكان المنطقة. سيتسائلون لماذا أقف هكذا في منطقتهم وأنا غريب عنها."

وصاح مصطفى: "لابد أن نتابع حلمي لنعرف مكان العصابة ومكان عبد الله. ابق مكانك. سأذهب الآن أنا إلى البيت وأغير ثيابي بسرعة ثم أحضر إليك. ارسل لي رابط يحمل العنوان."

أرسلت لمصطفى رابط العنوان وبقيت أراقب بيت حلمي جنح. بعد حوالي الساعتين من المراقبة والاختفاء، وأنا أجلس بين سيارتين أحاول ألا يشعر بي أحد وأن أستمر في مراقبة المكان، رفعت رأسي لأجد رجلاً نحيفًا وقصيرًا نسبيًا يلبس تي شيرت بنفسجي غامق اللون طويل الأكمام وبنطلون جينز أزرق فاتح ويلبس نظارة سوداء تخفي عينيه وله شارب صغير وشعره مفروق على اليمين كأبطال السينما في الخمسينيات.

كان ذلك الرجل يقف فوق رأسي وقد عقد ذراعيه على صدره. في البداية سقط قلبي داخل صدري خوفًا من أن يكون أحد سكان المنطقة ويسألني لماذا أقف هناك، ولكن الرجل كان يبتسم. كأنني أعرفه وصرخت: "مصطفى!!" وضحك أخي مصطفى وهو يقول: "كيف عرفتني؟"

وأجبته: "إنها وقفتك. وقفة شخص يتحداني أن أعرفه ويبتسم لي. من أي أتيت بهذا التي شيرت؟"

وأجاب مصطفى وهو يضحك: "غريب أنك قد عرفتني. أنا كنت أستعد كي أتلاعب بك قليلاً."

وصحت به: "ألا أعرف أخي!! أنا لم أر هذا التي شيرت في خزانة ملابسك قط."

ورد مصطفى: "هذه هي عدة الشغل وهل تظن أن التنكر هو أمر بسيط؟ هذا تي شيرت وجدته يباع بسعر منخفض في أحد المتاجر ووجدت أنه مختلف فلونه هذا ليس أحد الألوان المفضلة لي كما أنني عادة لا أرتدي هذا النوع من الثياب ولهذا اشتريته لعلني أحتاج إليه في التنكر وأضفته لعلبة التنكر الخاصة بي."

وسألته: "حسن لم يرد علي طوال النهار. هل تعرف أين هو؟ لقد كنت أفكر كيف أنني لم أره اليوم منذ نزلنا صباحًا من البيت متجهين إلى مواقعنا في الحي السابع."

ورد مصطفى: "رأيته آخر مرة اليوم في الحي السابع ولم أره من ساعتها. لعله مازال يجمع القمامة ويراقب الأمور في الحي السابع ولعل بطارية هاتفه قد فرغت أو لعله أسقط هاتفه لسبب ما فتوقف الهاتف عن العمل أو شيء كهذا. معرفة مكان حلمي ولو مؤقتًا هي فرصة ولا ينبغي أن نضيعها. أنا سأخذ مكانك هنا الآن، وأنت اذهب وغير ثيابك ثم اذهب للشرطة وأجعلهم يأتون بسيارات لا تحمل علامات الشرطة حتى لا يشعر بهم حلمي فيهرب."

وقلت لمصطفى: "حسنًا يا درش. هاهو البيت الموجود في الساحة والذي دخل إليه حلمي." وأشرت له إلى البيت "وقد خرج حلمي وجمع الغسيل الذي كان منشورًا على الحبل مما يدل على أنه مقيم بالبيت. سأذهب أنا إلى الشرطة."

وتركت مصطفى عائدًا إلى البيت.

الفصل العشرون:

مصطفى يحكي:

تركني شريف كي يذهب إلى الشرطة وأخذت أنا مكانه في المراقبة، ولم تكد تمر إلا نصف ساعة حتى وجدت أحدهم يخرج من الوحدة السكنية الموجودة داخل الساحة والتي أشار إليها شريف. كان حلمي جنح بشحمه ولحمه. حتى تلك اللحظة لم أكن أنا قد رأيته إلا على شكل صورة فوتوغرافية من تلك التي أعطتها لنا الشرطة. تبعت حلمي عن بعد وتوقف حلمي عند محطة الأتوبيس وأسرعت أجري وأقف بجانبه وسرعان ما جاء الأتوبيس فركبه حلمي وركبت معه.

استمر الأتوبيس في السير حتى المحطة النهائية له وهي الحي السابع حيث غادر الأتوبيس جميع الركاب ومنهم حلمي جنح وغادرت أنا الأتوبيس معهم وتبعت حلمي على مبعدة وأنا أحرص أن أتحرك وأنا مختفٍ خلف السيارات على جانبي الطريق وأن أضع دائمًا مسافة بيني وبينه وبحيث لا يراني.

تحرك حلمي في الشوارع الخلفية في الجانب المقابل لموقف الحي السابع حيث معظم المناطق مكشوفة وانتهى إلى بوابة سور يحيط بفيلا وضرب حلمي الجرس بجانب البوابة وسرعان ما تم فتح البوابة ثم إغلاقها بعد دخول حلمي.

كانت أمام سور الفيلا مجموعة من البنايات ينتهي جدار البناية الأخيرة منها في مكان بعيد قليلاً عن بوابة سور الفيلا في مقابل بوابة سور الفيلا بحيث يمكن لمن يختبيء بجانب ذلك الجدار أن يرى بوابة سور الفيلا ولا ينتبه إليه فورًا من يخرجون من بوابة سور تلك الفيلا أي أنه مكان يصلح لمراقبة بوابة سور الفيلا دون أن يفطن الناس الذين يتحركون بالمنطقة أو الموجودين بالفيلا إلى أنك تراقبها.

خرج رجل من بوابة سور الفيلا وعبر الشارع متجهًا إلى سيارته وبمجرد أن احسست أن الرجل لا ينظر في اتجاهي رفعت هاتفي المحمول والتقطت له صورة واضحة في ضوء النهار والتقطت صورة لأرقام سيارته من بعيد وكان تصويري على شكل فيديو.

أرسلت مقطعي الفيديو إلى هاتف محمد راجي وحاولت أن أتصل بمحمد راجي ولكنه لم يرد علي.

أرسلت مقطعي الفيديو إلى هاتف شريف ثم تحدثت إلى شريف وأنا أقف محاولاً الاختباء بقدر الامكان بجانب جدار البناية المواجهة لبوابة سور الفيلا وأنا أراقب الفيلا في نفس الوقت أثناء حديثي مع شريف.

ورد شريف وسألته: "هل رأيت الفيديو الذي أرسلته لك؟"

ورد شريف: "نعم. هذا أحد أفراد العصابة. كان يعمل خلف أحد ماكينات طباعة العملة المزيفة حين كنا داخل الفيلا."

ورددت عليه: "إذن فلابد وأن هذه هي الفيلا التي انتقلت إليها العصابة. لابد أنهم يحتفظون بعبد الله في الداخل. لقد أرسلت لك عنوان الفيلا مع الفيديو الأخير. هل الفيديو الذي وصلك به الصور واضحة؟"

وأجابني شريف: "نعم. الصور واضحة."

وسألت شريف: "وما هي أخبارك؟ هل قابلت محمد راجي؟"

وأجابني شريف: "كلا. جئت إلى قسم الشرطة فلم اجده. قالوا أنه خرج في مهمة ما ولكنهم قالوا أنه سيعود بسرعة. طبعًا أنا أضطررت للذهاب إلى البيت أولاً كي أخلع ملابس جامع القمامة حتى أستطيع أن أدخل إلى قسم الشرطة بدون مشاكل. حاولت أن أتحدث

إلى محمد راجي على الهاتف ولكن كعادته لم يرد علي. على العموم أنا انتظره حتى يعود كي يشكل قوة ويأتيك لمهاجمة الفيلا كي نحرر عبد الله. انت ابق مكانك وراقب الفيلا وأخبرني بالتفاصيل." وأردف شريف: "تصرف بشكل طبيعي فتنكرك جيد جدًا ومعظم أصدقاءك لن يتعرفوا عليك لو رآوك الأن، فلو كانت العصابة حتى قد رآت صورتك على موقعنا على الانترنت أو رآوا صورتك المخزنة على هاتف عبد الله فلن يعرفوك وأنت متنكر الآن ولن يشكوا فيك. شكلك الآن اكبر من سنك الفعلي بحوالي عشرة أعوام."

أنهى شريف المكالمة معي ووضعت الهاتف في جيبي وانتظرت بجانب الجدار أراقب بوابة الفيلا. فتح شخص ما بوابة الفيلا على مصراعيها ووجدت نفسي منجذبًا بشدة تجاه ساحة الفيلا فعبرت الشارع إليها ثم تظاهرت أنني لا أنظر داخلها بل تحركت أمام الفيلا متجهًا إلى طرفها ودرت عائدًا مرة أخرى إلى بوابة سور الفيلا وأنا أخاف أن يلاحظ أحد أنني مهتم بها.

ظهرت سيارة بيضاء نصف نقل عند بوابة الفيلا وكان يقودها الرجل الذي فتح بوابة الفيلا وأنطلقت السيارة مبتعدة عن الفيلا تاركة البوابة الحديدية للفيلا مفتوحة على مصراعيها.

نظرت داخل سور الفيلا. كانت هناك ساحة خالية وفيلا تقف وحيدة مغلقة الأبواب والنوافذ وكانت هناك ثلاث سيارات نقل كبيرة وسيارة ملاكي بيضاء تقف في ساحة الفيلا، وفجأة لاحظت أن هناك كشك لحارس بجوار بوابة سور الفيلا.

ارتعبت للحظة ولكني رأيت أن الكشك خالٍ ليس به حرس، وطبعًا كان هذا شيء يقلق بشدة فلو أن العصابة تتخذ من الفيلا مقرًا لها فلابد أن تحتفظ بحرس للفيلا وكون البوابة تترك هكذا مفتوحة على مصراعيها بلا حرس هو شيء غير طبيعي. هل تركت العصابة الفيلا إلى غير رجعة؟

اقتربت من البوابة الحديدية للفيلا أكثر. لم يكن هناك أحد. في طرف الفيلا لاحظت من بعيد بداية سلم يبدو أنه يقود إلى بدروم وإن كان يبدو وكأنه بلا باب أو أن بابه مفتوح.

قلقت من هذا الأمر. عدت إلى المكان الذي كنت أراقب منه بجانب جدار البناية المواجهة لبوابة الفيلا واتصلت بشريف ثانية.

ورد شريف بسرعة: "هل حدث شيء يا مصطفى."

وأجبته: "نعم. هناك سيارة نصف نقل خرجت من ساحة الفيلا وترك سائقها بوابة السور مفتوحة تمامًا وهناك ساحة خالية في داخل السور. الساحة توجد بها ثلاث سيارات نقل كبيرة وسيارة بيضاء صغيرة ملاكي، ولكن الفيلا تبدو وكأنها بلا حراس على الرغم من وجود كشك لحارس في مدخل الفيلا بجانب البوابة في الداخل. لماذا تظنهم تركوا الفيلا خالية بلا حرس. هل تظن أنه لا يوجد أحد بالداخل وأن عبد الله ليس بالداخل؟ لعل الأمر كذلك وإلا فلماذا هم مطمئنين هكذا وتركوا الفيلا بلا حرس. هناك شيء لا يعجبني في هذا الأمر."

ورد شريف بشكل متسرع: "أغلق الخط الآن يا مصطفى. محمد راجي وصل والجميع يجري نحوه. لابد أن أجتذب اهتمامه أولاً. مع السلامة."

أغلق شريف الخط. تضايقت من جبني ووقوفي بعيدًا عن بوابة الفيلا هكذا والمكان مقفر ليس به أحد غيري. تقدمت نحو بوابة الفيلا وتوقفت هنيهة ثم ارتعبت فجأة عندما أحسست بيد توضع على كتفي، وكدت أصرخ."

التفت خلفي ووجدت دنجل. كان لا يزال بنفس ملابس جامعي القمامة والتنكر الذي أجريته له وكان يحمل زنبيلين، وقال دنجل: "مصطفى."

وانتفضت فزعًا وقلت له: "دنجل! أهذا أنت؟ كيف عرفتني؟"

وقهقه دنجل ضاحكًا وقال بفخر شديد: "لأنني ذكي طبعًا."

تذكرت أنني أجريت له الماكياج في ذلك الصباح وأنا أجرب ملابس تنكري الحالي بالشارب والتي شيرت البنفسجي الغامق ذي الأكمام وأنني جربت أمامه النظارة السوداء."

وقلت له: "نعم. لقد رأيتني وأنا أجرب ملابس ومعدات التنكر هذه في الصباح."

وقال دنجل مبتسمًا: "شكرًا لك يا مصطفى. التنكر الذي أجريته لي جيد جدًا. ذهبت اليوم إلى الولد الذي تشاجرت معه منذ عدة أيام. ياسر. لابد أنك تذكره."

وهززت رأسي بالإيجاب

وأردف دنجل ضاحكًا: "تخيل أنه لم يعرفني. ضحكت كثيرًا على غباءه وذهبت وحكيت الأمر كله لفؤاد وضحكنا كثيرًا."

وأردف دنجل وقد قطب جبينه ويبدو أنه تذكر شيئًا يضايقه وقال: "ولكن أنا غاضب من شريف. جعلني أحمل زنبيله وأخبرني أن ياسر سيأخذه مني ولكن ياسر رفض أن يأخذ أي من الزنبيلين وعندما ذهبت لفؤاد رفضت أم فؤاد أن تدخلني بيتهم بالزنبيلين وتركت الزنبيلين خارج شقة فؤاد أثناء زيارتي له ثم أجبرتني أمه أن أحمل الزنبيلين وأنا ذاهب عنهم وحتى الآن أنا أحمل الزنبيلين. خذهما أنت."

ودفع دنجل بالزنبيلين المتسخين نحوي وقفزت أنا إلى الخلف حتى لا تلتصق القاذورات المتعلقة بالزنبيلين بملابسي، وصحت بدنجل:"كلا طبعًا. لا تفعل هذا. افهمني. هذان الزنبيلان تحملهما عندما تتنكر كجامع قمامة. لو أنك لست متنكرًا كجامع قمامة فلا يصح أن تحملهما. أنا متنكر الآن وأنت ستفسد تنكري. كل تنكر يجب أن يحمل معه المرء ما يناسبه. أنا الآن أستعمل نظارة سوداء وشارب وأتنكر كأنني رجل بالغ محترم. لا ينفع أن أحمل الزنبيلين المتسخين هذين أثناء تنكري هذا."

وصاح دنجل متبرمًا: "لا أحد يريد أن يأخذ مني هذين الزنبيلين. ماذا أفعل بهما؟"

وأجبته: "عليك أن تظل تحملهما طالما أنت متنكر كجامع قمامة. لا تفسد تنكرك. وفي آخر اليوم سنسلم جميع الزنابيل في المكان الذي سيتم تحديده لنا. هذه الزنابيل مهمة جدًا فقد نحتاجها لنتنكر ثانية. ألا تحب أن تتنكر ثانية؟

وأجابني دنجل وقد تهلل وجهه: نعم، ولكن في المرة القادمة أريدك أن تجعلني أتنكر كقرصان أو ضابط شرطة."

وأجبته: "حسنًا يا عزيزي دنجل. أعدك أن أجري لك تنكرًا كقرصان فيما بعد ولكن الآن احتفظ بالزنبيلين."

وأجابني: "خلاص. فهمت."

ثم نظر دنجل حولنا. لم يكن هناك أحد بالشارع ولم يظهر أحد في ساحة الفيلا التي كنا نقف أمامها.

وسألني دنجل: "ماذا نفعل هنا؟"

وأجبته: "نحن نقف هنا ولن نفعل شيئًا."

وسألني: "هل كنت تهم بدخول هذه الفيلا؟ هل أدخلها؟"

وطبعًا كانت هذه فكرة غير معقولة ولهذا أجبته: "كلا. كلا. لا يجب أن تدخل أبدًا إلى هذه الفيلا."

وسألني دنجل: "ولماذا؟"

وخطرت ببالي فكرة فقلت لدنجل: "أنا لدي دور مهم جدًا لك، ولو فعلته بشكل جيد فلك عندي جائزة."

وتهلل وجه دنجل بسعادة وقال: "وما هو هذا الدور؟"

وأجبته: "أهم شيء ألا تقترب من هذه الفيلا وألا تدخلها. أريدك أن تقف بجانب هذا الجدار" وأشرت له إلى الجدار في نهاية البناية في مقابل بوابة سور الفيلا والذي كنت أقف بجانبه منذ فترة قصيرة "وتراقب الفيلا بحرص بينما سأدخل أنا إليها لأنقذ صديقي عبد الله الذي خطفته العصابة."

وصاح دنجل باندهاش واثارة: "عصابة!!"

وأجبته: "نعم يا دنجل. لهذا لا يجب أن تدخل أنت إلى هذه الفيلا. أنا أحتاج إليك أن تبقى هنا، فسيأتي شريف بعد وقت قصير ومعه الشرطة وأنا أحتاج إلى أن تدل أنت شريف والشرطة أن هذه هي فيلا العصابة."

وأجابني بفخر: "أدل أنا الشرطة!!"

وأجبته: "نعم. دورك هو أن تقف بجانب هذا الجدار. وتختبيء بجانب الجدار حتى لا يراك من بالفيلا، وعندما تجد شريف قد وصل ومعه الشرطة دورك أن تخرج من مكانك وأن تخبر شريف أن هذه

هي فيلا العصابة وأنني دخلت إليها لانقاذ عبد الله. هل تفهم ما أقول يا دنجل؟"

وأجاب دنجل: "نعم. خلاص يا عم. فهمت."

أخذت دنجل من يده وأوقفته بجانب الجدار في مقابل بوابة سور الفيلا وقلت له: "الآن أنت تعرف مكانك وتعرف ما يجب أن تفعله."

وأجابني دنجل: "خلاص يا عم. اتفقنا. ولكن ما هي المكافأة التي ستعطيني إياها؟"

وأجبته: "تورتة شيكولاتة كبيرة من النوع الذي تحبه سأشتريها لك من متجر الحلويات المميز في بداية شارعنا ولكن اختبيء الآن ولا تظهر نفسك أمام بوابة سور الفيلا."

وأجابني دنجل: "خلاص يا عم. اتفقنا."

عبرت الشارع إلى بوابة سور الفيلا ودخلت أنا بحذر إلى داخل ساحة الفيلا وتوجهت إلى فتحة البدروم. بالفعل وكما قدرت من بعد كانت هناك سلالم تؤدي إلى بدروم وكان الباب مفتوحًا وكان من الواضح أن المكان مظلم ولكني كنت أحتاج بشدة إلى أن أعثر على عبد الله.

قررت أن أحدث شريف كي أدله على ما أفعله. اتصلت بشريف ورد علي.

قال شريف: "سنخرج حالاً من قسم الشرطة يا مصطفى. لقد استعد رجال الشرطة ومعهم سيارتهم البوكس. نصف ساعة وسأكون معك."

قلت له: "أنا لن أستطيع الانتظار يا شريف. هناك سلالم جانبية بالفيلا تؤدي إلى بدروم وبابه مفتوح. لا يوجد حرس. سأنزل إلى البدروم. لقد أرسلت إليك رابط بالعنوان وتركت لك دنجل واقفًا خارج الفيلا ليدلك عليها. سأنزل إلى البدروم الآن."

الفصل الواحد والعشرون:

شريف يحكي:

ما إن نطق مصطفى باسم دنجل حتى اندفع الدم إلى رأسي. صرخت به: "إلا دنجل. ابق خارج الفيلا لتدلنا عليها بنفسك. أرجوك لا تدخل دنجل في الموضوع."

وأتى الصوت من هاتفي ليدلني على أن مصطفى قد أنهى المكالمة.

طبعًا لم أتصل ثانية لأنه قال أنه سينزل إلى البدروم وإذا اتصل به أحد فقد يرن الهاتف ويدل على وجوده. دعوت الله في سري أن يكون قد تذكر أن يغلق الهاتف قبل نزوله إلى البدروم.

وتذكرت دنجل. كيف يفعل مصطفى بنا هذا؟ ألا يعرف دنجل! وخبطت قدمي في الأرض في يأس وأنا غاضب.

وقف دنجل بجانب الجدار كما طلب منه مصطفى وسرعان ما وجد دنجل يدًا تهبط على كتفه. استدار دنجل فزعًا ووجد رجلاً لا يعرفه وصاح به الرجل بشك: "ماذا تفعل هنا؟"

وأجابه دنجل: "وما شأنك أنت؟ هل هذا الشارع ملكك؟ إنه شارع الحكومة وأنا حر أقف في المكان الذي يعجبني."

وقال الرجل وهو ينظر لدنجل بنظرة عدوانية ليخيفه: "هل تقف كجاسوس على الفيلا؟"

وصاح دنجل غاضبًا: "جاسوس. هل هذه الكلمة قلة أدب أم ماذا؟"

وطبعًا فطن الرجل إلى أنه يحدث طفلاً محدود الإدراك وقال له: "أنت قليل الأدب. أليس عيبًا أن تتجسس على الناس؟"

وصاح دنجل: "أي ناس. أنتم عصابة وسيأتي شريف بعد قليل ومعه الشرطة ليقبضوا عليكم."

ظهر على الرجل علامة الرعب وسأل دنجل: "من قال هذا؟"

ورد دنجل: "مصطفى."

وصاح الرجل: "وأين مصطفى هذا؟"

وقال دنجل ببساطة: "لقد دخل إلى الفيلا لينقذ عبد الله."

وسأل الرجل: "ولماذا لم تدخل أنت أيضًا إلى الفيلا لتنقذ عبد الله؟"

ورد دنجل بكبرياء: "مصطفى قال لي أن أقف هنا كي يسهل على الشرطة معرفة الفيلا. حين أرى رجال الشرطة قادمين مع شريف أخرج وأدلهم على الفيلا."

وقال الرجل: "هل أدلك على شيء سهل تفعله وتحصل معه على عشرة جنيهات؟ هل تأخذ عشرة جنيهات وتقف أمام بوابة الفيلا الموجودة في أول الشارع وعندما تصل الشرطة تخبرهم أن تلك الفيلا هي الفيلا التي دخل إليها مصطفى."

وصاح دنجل باستهانة: "عشرة جنيهات!! وماذا تشتري عشرة جنيهات الآن؟"

ورد الرجل: "سأعطيك خمسين جنيهًا."

ورد دنجل: "كلا. أنا أريد مائتي جنيه."

وأخرج الرجل المائتي جنيه من جيبه وأعطاها لدنجل وقال له: "الآن تقف أمام تلك الفيلا المهجورة في أول الشارع ولا تتحرك من أمامها."

ورد دنجل: "خلاص يا عم. اتفقنا."

ومضى دنجل سعيدًا وهو يصفر ويحمل الزنبيلين على ظهره ليقف أمام بوابة أول فيلا في الشارع.

كانت تلك الفيلا موجودة ضمن سور ولكن بوابتها الحديدية كانت مفتوحة وكان من الواضح أنها فيلا مهجورة.

شريف لازال يحكي

ركبت أنا والرائد محمد راجي وسائق سيارة الشرطة نصف النقل التي يسميها الجميع البوكس في الجزء الأمامي من السيارة وسمعت صوت العديد من الأفراد يركبون في الجزء الخلفي من السيارة.

بعد دقائق أصبحنا في الشارع الذي به العنوان الذي أرسله لي مصطفى. ورأيت دنجل يقف أمام بوابة فيلا في بداية الشارع وهو يحمل الزنبيلين على كتفيه وحين رأى دنجل سيارة الشرطة أشار إلينا بحماسة.

محمد راجي: "هل هذا هو جامع القمامة الذي قال له أخوك أن ينتظرنا أمام الفيلا؟"

كنت أحس أن هناك بالتأكيد شيء خطأ فالفيلا التي كان يقف أمامها دنجل تبدو مهجورة تمامًا وإن كانت بوابتها مفتوحة كما وصفها مصطفى ولكن ليس بساحتها كشك للحارس كما وصف لي مصطفى.

وأجبت محمد راجي: "نعم. هذا هو دنجل زميلي في المدرسة وهو متنكر كجامع قمامة، ولكن ليس هذا هو العنوان الذي أرسله لي مصطفى على هاتفي المحمول. هذه الفيلا هي رقم (٤) والفيلا اللي أرسل لي مصطفى عنوانها هي رقم (٤٤) من نفس الشارع ."

ورد محمد راجي: "وماذا في هذا الأمر؟ مع السرعة والتعجل الأخطاء تحدث. لعل مصطفى أخطأ وضغط رقم "٤" مرتين."

قفزت أنا ومحمد راجي والسائق خارج سيارة البوكس بمجرد توقفها، وضرب محمد راجي الجانب المعدني للسيارة كإشارة لأفراد الشرطة الذين كانوا يركبون سيارة البوكس في الخلف لينزلوا.

محمد راجي لأفراد الشرطة: "هيا. هيا."

وأسرع أفراد الشرطة يقفزون واحدًا بعد الأخر من سيارة الشرطة وجروا متأهبين نحو الفيلا.

واتجهت أنا إلى دنجل والذي احتضنني ودفع إلي بالزنبيلين.

لم أكن أنا مهتمًا بالزنبيلين، ولكني أخذتهما لكي يتخلص منهما دنجل وبالتالي ينتبه لي وقلت له: "دنجل. هل دخل مصطفى إلى هذه الفيلا؟"

ورد دنجل: "هو دخل ولم يدخل في نفس الوقت."

كنت أوشك على أن أنفجر من فرط توتر أعصابي ونظرت إلى محمد راجي وكان يبدو وأنه هو كذلك متوترًا للغاية. كان من الواضح أن هناك شيء خطأ.

وسألت دنجل وأنا أتحدث بشكل عادي محاولاً السيطرة على أعصابي: "ما معنى هذا؟"

ورد دنجل: "هناك رجل أعطاني مائتي جنيه كي أقول أن مصطفى دخل هنا."

خرج رجال الشرطة من الفيلا وأسرع أحدهم يجري نحونا ثم قال للضابط/ محمد راجي: "تمام سعادتك يا أفندم. لقد كسرنا باب الفيلا ولكن هذه الفيلا خالية تمامًا من الناس وليس بها أي شخص ومن الواضح أنها مهجورة تمامًا ولم يدخلها أحد منذ فترة طويلة."

وصرخ محمد راجي في دنجل بعنف: "ما معنى هذا الكلام الفارغ؟ يا هذا الشيء تحدث بشكل مفهوم."

ولما كنت أعرف دنجل وأعرف أنه لا يستطيع أن يقول أي شيء مفهوم عندما يتوتر أو يخاف، فقد أشرت للرائد محمد راجي بيدي اشارة تهدئة وقلت له: "يا باشا. سنفهم كل شيء الآن بهدوء. هذا الفتى لن تنفع معه الشدة. يجب أن نحدثه برفق."

ووضعت يدي على كتف دنجل وقلت له: "لا عليك يا دنجل. حدثني أنا. أين ذهب مصطفى؟"

وصاح دنجل في محمد راجي وهو يصرخ ويبدو متحفزًا جدًا: "لماذا تصرخ فيّ هكذا؟ أنا أقول لك ما قاله لي الرجل. إذا كان كلامي لا يعجبك، اذهب وأصرخ في الرجل."

وأسرعت أهديء دنجل: "لا عليك يا دنجل. قل لي أنا. أين الفيلا التي دخلها مصطفى؟"

وقال دنجل مشيرًا إلى فيلا في آخر الشارع: "مصطفى دخل إلى الفيلا التي تخرج من بوابتها هذه السيارات الآن."

ومن البوابة الحديدية للفيلا البعيدة خرجت سيارات النقل الثلاث المغطاة التي أبلغني مصطفى عن وجودها بساحة الفيلا وكانت لكل

من تلك السيارات في مقدمتها شبكة حديدية من عدة قبضان يبدو شكلها مقلقًا وانطلقت السيارات الثلاث الواحدة تلو الأخرى بسرعة لأن عرض الشارع لم يكن يتسع لأكثر من سيارة، وكان من الواضح أن سيارات النقل تلك تقصد سيارة بوكس الشرطة والتي كانت في تلك اللحظة تقف تقريبًا في منتصف الطريق وبدت فجأة صغيرة جدًا وهشة مقارنة بتلك الوحوش الثلاث القادمة لمهاجمتها وصرخت أنا محذرًا الجميع: "ادخوا داخل سور الفيلا. سوف يصدموننا."

وطبعًا لم يكن الأمر يحتاج لأي تحذير مني فقد استنتج كل رجل من مجموعة الشرطة ما استنتجته أنا. العصابة خرجت من مخبئها وهي تعتزم مهاجمتنا. دفعت أنا دنجل واضعًا إياه خلفي داخل سور الفيلا بعيدًا عن مسار السيارات وإن بقيت أنا شخصيًا واقفًا في مدخل سور الفيلا أراقب الشارع بينما تقافز رجال الشرطة بعضهم إلى الرصيف على اليمين وبعضهم إلى مدخل سور الفيلا التي نقف ضمنها وبعضهم إلى الرصيف على اليسار مبتعدين عن نهر الشارع وخطرت ببالي فكرة فرفعت الموبايل الخاص بي وبدأت أقوم بتصوير لوحات أرقام سيارات العصابة.

لم يتحرك محمد راجي من مكانه ولكنه في الدقيقة المتاحة له نجح في اخراج المسدس المتدلي من حزامه من جراب ذلك المسدس. وصوب محمد راجي مسدسه على جسم السيارة الأولى بينما هي تصدم بوكس الشرطة والذي لم يكن به ركاب بالمرة والحمد لله على ذلك. ودارت سيارة الشرطة نصف النقل حول محورها بسبب الاصطدام واندفعت نحو جدار سور الفيلا المقابلة للفيلا التي كنا نقف أمامها ثم ارتدت سيارة الشرطة عنه لتقف في منتصف الشارع من جديد، وإن كانت هذه المرة أقرب إلى اليسار ناحيتنا، بينما اندفعت سيارة النقل متجاوزة سيارة البوكس وأطلق محمد راجي رصاصتين من مسدسه على إطارات سيارة النقل قبل أن تنحرف يمينًا إلى الشارع المجاور.

قبل أن تنحرف سيارة النقل الأولى في الشارع المجاور كانت سيارة النقل الثانية قد وصلت أمامنا وأطلق عليها محمد راجي رصاصتين استقرتا في إطاراتها كما أظن ولكنها تمكنت من أن تستمر في الحركة وتتفادى سيارة الشرطة وتنحرف في الشارع المجاور على اليمين كما فعلت سيارة النقل الأولى قبلها.

يبدو أن صوت الرصاص الصادر من مسدس محمد راجي قد أخاف سائق سيارة النقل الثالثة والتي أبطأت سرعتها وحاولت التراجع ولكنها كانت قد أصبحت في مرمى رصاصات محمد راجي والذي أطلق على اطاراتها رصاصتين بمجرد أن اختفت السيارة الثانية عن أنظارنا مما جعل سائق السيارة الثالثة يحزم أمره ويضغط على دواسة البنزين محاولاً أن يحذو حذو سيارة النقل الثانية وأن يتجنب سيارة البوكس ويتجاوزها وينحرف بالسيارة في الشارع إلى اليمين وراء سيارتي النقل الأولى والثانية ولكن يبدو أن أحد رصاصتي محمد راجي قد أثرت على أحد الاطارات فقد أسرعت سيارة النقل الثالثة متحركة إلى أقصى اليمين ولكن قائدها فقد السيطرة عليها في ثوان لتنتهي مصطدمة بسيارة بوكس الشرطة وتتوقف في منتصف الطريق.

أسرع رجال الشرطة بمجرد توقف سيارة النقل الثالثة يجرون في اتجاه السيارة وهم يصرخون "الله أكبر. الله أكبر" وكأننا في غزوة بدر الكبرى. حتى أنا شعرت بالسعادة الشديدة والفخر وأنا أرى سيارة العصابة الثالثة تتوقف.

وقفز أحد رجال الشرطة على الباب بجانب السائق بينما لف أخرون حول السيارة ليقبضوا على الرجلين الجالسين بجانب السائق وسرعان ما نزل السائق والرجلان الموجودان في المقصورة الأمامية اللذان كانا يجلسان بجانب السائق وتم تقييدهم بقيود حديدية وصعد رجلان من رجال الشرطة إلى ظهر سيارة النقل التي كانت مغطاة في الجزء الخلفي منها مثل سيارتي النقل الاخريتين.

وصاح أحد الرجلين محدثًا محمد راجي: "يا باشا. ماكينات الطباعة موجودة هنا في ظهر السيارة."

وسأل محمد راجي: "هل يوجد أحد في ظهر السيارة؟ انظر جيدًا لعل أحدهم مختبيء."

ورد أحد الرجلين:"كلا يا باشا. لا يوجد أحد هنا."

وصرخت أنا: "راجي باشا. أنا صورت أرقام سيارتي النقل اللتين هربتا."

ونظر محمد راجي في الموبايل الخاص بي والذي رفعته أمامه ليراه بوضوح وأمسك باللاسلكي الذي كان مثبتًا على الجانب الأخر من حزامه واتصل بالشرطة وقال متحدثًا في جهاز اللاسلكي: "نعم. معك الرائد محمد راجي. هناك سيارتا نقل اصطدمتا بسيارة البوكس الخاصة بنا. سيارة النقل الأولى رقمها كذا "وبدأ محمد راجي يقرأ الرقم من الموبايل الخاص بي" وسيارة النقل الثانية رقمها كذا "وقام بقراءة أرقام السيارة الثانية،" وأردف محمد راجي "سيارتا النقل هاتان قد دلفتا لتوهما إلى شارع العربي وهاتان السيارتان بهما عصابة تزييف أموال. أرجو ابلاغ الدوريات الراكبة للقبض على السيارتين بسرعة. إطارات السيارتين ستتعطل قريبًا جدًا حيث أنني قد أطلقت رصاصتين على إطارات كل سيارة منهما وبالتالي المتوقع أن تتعطل السيارتان إما في شارع العربي أو أحد الشوارع المتفرعة منه. أرجو تنبيه جميع القوات كي يقبضوا على رجال العصابة الموجودين بهذه السيارات قبل أن يهربوا."

وبعدها اتصل محمد راجي بقسم شرطة مدينة الأزهار بالموبايل الخاص به وقال: "أيوه يا سامي. أنا محمد راجي. ارسلوا لنا سيارة بوكس على العنوان الذي ذهبنا إليه اليوم. سيارات العصابة صدمت سيارة البوكس التي خرجنا فيها وعطلتها. كذلك أرجو أن تخرج

سيارتا بوكس من القسم للبحث في شارع العربي والشوارع المتفرعة منه عن سياراتي نقل متوقفتين ولهما الأرقام التالية" وأشار لي محمد راجي كي أرفع الموبايل الخاص بي وأخذ يقرأ الأرقام منه.

واستكمل محمد راجي حديثه في هاتفه قائلاً: "لو وجدتم أحد بسيارتي النقل فأقبضوا عليه فورًا بتهمة تزوير الأموال وحرزوا أي شيء تجدونه في هاتين السيارتين. كذلك نحن نحتاج إلى سيارة ونش من إدارة المرور كي تقوم بقطر سيارة نقل ثالثة قمت أنا بإطلاق رصاص على إطاراتها وعطلتها هنا. أرجو الاسراع بإرسال السيارات المطلوبة."

كنا في تلك اللحظة واقفين في منتصف الشارع تقريبًا أمام بوابة الفيلا رقم "٤" المهجورة في ذلك الشارع. بعيدًا كانت هناك فيلا العصابة رقم "٤٤" والتي خرجت منها سيارات النقل، وظهرت السيارة البيضاء الصغيرة التي كانت متوقفة في ساحة فيلا العصابة والتي أبلغ عنها مصطفى في تقريره لي والذي نقلته أنا للرائد محمد راجي. خرجت السيارة ونحن عاجزين عن فعل أي شيء وكأنها تخرج لنا لسانها ثم انحرفت يسارًا في الشارع المجاور للفيلا خلال ثوانٍ معدودة. لم يحاول أحد من رجال الشرطة الجري تجاهها ولم يحاول محمد راجي إطلاق الرصاص عليها فقد كانت السيارة بعيدة جدًا عنا ولم يكن معنا وقتها أية سيارة لنتمكن من متابعتها.

وخطرت في بالي فجأة فكرة صادمة. مصطفى قد دخل إلى تلك الفيلا وتلك السيارة كان من الواضح أن بها ركاب. هل أخذوا معهم مصطفى وصرخت: "يا باشا. أخي مصطفى دخل إلى تلك الفيلا هناك. أرجو أن يكونوا قد تركوه فيها وتركوه بخير."

وصرخ محمد راجي في رجاله: "فتحي. قف حراسة على هذه السيارة حتى يأتي ونش الشرطة لقطرها وانتما يا منسي ومُعاذ قوما

بحراسة هؤلاء الثلاثة رجال حتى يأتي بوكس الشرطة وقوما بمصاحبتهم إلى قسم الشرطة ثم عودا إلينا بالبوكس على الفيلا التي هناك."

وأشار محمد راجي لرجاله: "بقية الرجال. اتبعوني."

وانطلق محمد راجي بسرعة وخلفه رجاله ثم أنا ودنجل نجري وراءهم حتى دخلنا فيلا العصابة رقم "٤٤" من ذلك الشارع. وبعدها أوقف محمد راجي اثنان من رجاله حراسة على بوابة سور الفيلا وأمرهما ألا يدخل أحد إلى ساحة الفيلا أو يخرج منها بدون استئذان وأن يأتي أحدهما لاخبارنا عندما تصل سيارة البوكس التي سيرسلها قسم مدينة الأزهار.

وقلت له أنا: "يا باشا مصطفى أخي قال أنه سينزل إلى البدروم."

الفصل الثاني والعشرون:

شريف مازال يحكي

وانطلق محمد راجي وخلفه رجاله وأنا ودنجل من وراءهم إلى البدروم. كان البدروم مظلمًا تمامًا حين دخلنا وبدأ رجال الشرطة في فتح أضواء الموبايلات حتى عثرنا على مفاتيح الكهرباء وحين أضأنا الكهرباء بالمكان سطع الضوء وكان قويًا للغاية لدرجة أنه أعشى عيني للحظات وبعدها رأيت ويا لفرحتي أخي مصطفى مقيد بالحبال وملقى على جانبه بجانب الباب بينما كان عبد الله مقيدًا على مبعدة من مصطفى بقيد حديدي وكان طرف القيد الحديدي الأخر مقيد إلى ماسورة مثبتة في الجدار.

وصرخت أنا: "مصطفى وعبد الله. حمدًا لله على سلامتكما. الحمد لله أن العصابة لم تأخذكما معها."

كان مصطفى يبدو على ما يرام ولكن عبد الله كان يبدو عليه الاعياء الشديد وهو مكوم بجانب الجدار ومحدود الحركة بسبب تقييده إلى تلك الماسورة في الجدار.

وأشار محمد راجي إلى أحد رجاله وقال: "فك الماسورة يا بركات."

وأسرع مساعد الشرطة المسمى بركات والذي كان رجلاً كما يقول عنه عادل إمام في مسرحية "شاهد مشافش حاجة" "عريض المنكعين شلولخ" إلى معول كان ملقىً بجانب أحد الجدر في البدروم وتناول المعول ثم اتجه إلى الجدار بجانب الماسورة وبدأ في ضرب الجدار بقوة شديدة جدًا بجانب الماسورة."

انحنى محمد راجي بجانب مصطفى وأخرج من جيبه مطواة فتحها وقام بقطع الحبال التي تربط مصطفى. وقف مصطفى على قدميه

فورًا وكان يبدو بخير تمامًا وكان لا يزال في تنكره كرجل بالغ بشنب وإن كان هناك بعض التمزيق في التي شيرت الذي كان يلبسه.

احتضنت أنا مصطفى وسألته: "هل أنت بخير."

وأجابني: "نعم. أنا بخير. لم يحدث لي شيء."

وسألته: "ما الذي حدث؟"

ورد مصطفى: "حين نزلت وجدت عبد الله هكذا مقيدًا إلى تلك الماسورة. حاولت أن أستخدم المعول في كسر الماسورة ولكن بعد دقائق قليلة أتاني رجلان وكان يبدو عليهما بوضوح أنهما يعرفان أنني موجود في البدروم وقاما بنزع المعول من يدي بالقوة وقاما بتقييدي بالحبال ثم تركوني هنا."

وأحتضنته ثانية وقلت له: "الحمد لله على سلامتك يا مصطفى. لقد كنت قلقًا للغاية عليك."

وبعدها أتى دنجل واحتضن مصطفى وقال له نفس الشيء: "الحمد لله على سلامتك يا مصطفى. لقد كنت قلقًا جدًا عليك."

وسألنا مصطفى: "كانت العصابة كما يبدو تستعد للهرب بسرعة وقد أتوا هنا أساسًا للحصول على بعض الأشياء التي تركوها هنا. هل هربوا؟"

وأجبت مصطفى: "بعض رجال العصابة قد هربوا ولكن اطمئن الشرطة قبضت على بعضهم."

وقال مصطفى لمحمد راجي: "يا باشا رئيس العصابة يضع على وجهه قناعًا من جلد شكله غريب. إنه قناع يشبه من بعيد الوجه

البشري ولكن حين تقترب من الرجل ترى بوضوح أنه ليس وجهه وأنه قناع."

كان مساعد الشرطة بركات قد انتهى في تلك اللحظة من كسر الجدار بجانب الماسورة وانتزع الماسورة من الجدار وحرر عبد الله من ارتباطه بالماسورة وإن كان عبد الله لا يزال مقيدًا في إحدى يديه بالقيد الحديدي وكان من الواضح أنه متألم للغاية بسبب ذلك القيد."

وشارك عبد الله في حوارنا وقال للضابط/ محمد راجي: "كلام مصطفى حقيقي تمامًا يا باشا. رئيس العصابة يتحرك في كل مكان من الفيلا بذلك القناع الذي كان يشبه من بعيد شكل الوجه البشري ولكن من قريب يكون من الواضح للناظر أنه مجرد قناع."

كانت هناك على جوانب الجدارن صناديق مكدسة تحوي رزم أوراق للطباعة من الواضح أنها من نوع خاص وأحبار وأشياء أخرى كانت مكدسة ومرمية بلا نظام في البدروم.

وبعدما تم تحرير عبد الله وقف بتردد على قدميه وكأنه يختبر إن كان سيستطيع أن يفعل ذلك وأسرع مصطفى يحتضن عبد الله وسأله: "هل أنت بخير يا عبد الله؟ ماذا حدث لك؟"

وأجاب عبد الله: "أنا بخير. لم يحدث لي شيء. كان رئيس العصابة يطمئن علي يوميًا ويوصي الجميع بحسن معاملتي وأن يعطوني طعامًا جيدًا ويبقوا زجاجة المياه هذه بجانبي." وأشار إلى زجاجة مياه ممتلئة حتى نصفها بالماء. "كان يأتي كل يوم ليسأل عن طعامي وشرابي ولكن هذا القيد الحديدي ظل يحتك بيدي حتى أحدث بها جرحًا غائرًا للغاية وهو يؤلمني جدًا وحين حدثت رئيس العصابة عن ذلك قال أنه لا يستطيع أن يطلق سراحي أو يفك قيدي ولا يستطيع كذلك أن يأتي لي بطبيب وتركني هكذا."

وصرخ مصطفى وهو ينظر إلى محمد راجي وكان رسغ عبد الله داميًا وقد تعرى في بعض مواضعه من اللحم: "إنه يحتاج إلى علاج ضروري وبسرعة."

كان الضابط/ محمد راجي يفحص الأشياء المخزنة في البدروم، وحين سمع قول مصطفى، قال لنا: "نحن الآن سنأخذ عبد الله إلى القسم كي نفك القيد الحديدي ونخرجه من يده وبعدها سننقله للمستشفى مع مخصوص كي يعالج ونحصل على تقرير الاصابات الخاص به وبعدها سنعيده إلى بيته ويمكن لكم مرافقته في كل تلك المراحل إن أردتم ذلك. أرجو أن تطمئن يا عبد الله. سنأخذ بثأرك. الرجال الذين خطفوك لن يحاكموا فقط بتهمة تزوير عملة ولكنهم سيحاكمون كذلك بتهمة الخطف ومهاجمة سيارة الشرطة لأن الرجال الذين قبضنا عليهم في سيارة النقل كانوا في البداية يعتزمون أن يصدموا سيارة الشرطة."

وصرخ مصطفى وعبد الله باندهاش: "ماذا! العصابة كانت تريد أن تصدم سيارة شرطة."

وقال محمد راجي بضيق شديد: "وماذا تنتظرون منهم؟ إنهم مجرمون ولكننا سنقتص منهم ليس فقط لعبد الله ولكن للمجتمع كله."

احتضنت أنا عبد الله وقلت له: "الحمد لله على سلامتك يا عبد الله. نحن آسفون بسبب الأذى الذي سببناه لك."

ورد عبد الله: "كلا. أنا تقريبًا لم يحدث لي شيء. أنا من سببت لكم الأذى. لقد كنت خائفًا في البداية وهذا ما جعلني أعطي رئيس العصابة معلومات عنكم وعن أسماءكم وعنوانكم وأرقام هواتفكم ورقم تليفون الجريدة وذلك بعد أن وعدني رئيس العصابة أنه لن يؤذيكم وقال لي أنه سيحضركم إلى هنا ويحصل منكم فقط على

وعود أنكم لن تبلغوا الشرطة عنهم ووقتها سيطلق سراحي معكم. أنا الذي سببت لكم الأذى لأنني خفت وضعفت."

وربت مصطفى على كتف عبد الله مواسيًا وقال: "لا بأس يا عبد الله. أي شخص في مكانك كان سيفعل ما فعلته ونحن لم يحدث لنا شيء. المهم الآن أن تُعالج وأن تُرد إلى اسرتك سالمًا."

بعدما احتضنت أنا عبد الله تقدم دنجل واحتضن عبد الله بدوره وقال ما قلته أنا لعبد الله من قبله: "حمدًا لله على سلامتك يا عبد الله. نحن آسفون بسبب الأذى الذي سببناه لك."

ونظر لنا عبد الله وقال: "من هذا؟"

وأجبته أنا: "هذا دنجل صديقي وزميلي في المدرسة."

ورد محمد راجي وعلى وجهه ابتسامة ساخرة: "نعم. هذا هو البطل الذي وضعنا في الموقف الجميل الذي نحن فيه الآن وتسبب في هرب العصابة ورئيسها والخسائر التي حاقت ببوكس الشرطة."

وتهلل وجه دنجل وهو يقول: "ماذا! أنا بطل!!"

ورد الضابط/ محمد راجي بمرارة وهو يربت على كتف دنجل: "طبعًا. وهل هناك بطل غيرك."

الفصل الثالث والعشرون:

شريف لايزال يحكي

طبعًا في الأيام التالية لذلك اليوم ذهبنا كثيرًا إلى القسم والنيابة ونحن نحمل كاميرتنا وأوراقنا وأقلامنا وموبايلاتنا التي وضعنا عليها تطبيقات كثيرة لتسجيل الصوت وتسجيل الفيديو بكفاءة أكبر وذلك كي نحصل على أية معلومات عن العصابة. وجدت الشرطة سيارتي النقل الهاربتين في الشوارع المجاورة لشارع العربي الذي هربت إليه سيارتي النقل، ووجدت الشرطة كذلك أن رجال العصابة قد هجروها بمجرد توقفها فقد وجدت الشرطة سيارتي النقل هاتين بعد ابلاغ محمد راجي عن هروبهما بفترة قصيرة جدًا ولكن لم يجدوا بها أي أشخاص وعلمنا أن الشرطة وجدت داخل تلك السيارات آلات الطباعة كاملة فيما عدا ألواح الطباعة التي تشمل اكليشيهات وستامبات طباعة النقود التي كانت العصابة تطبع عليها الأموال المزيفة والتي تسمح للعصابة بأن تبدأ عمليات التزييف من جديد في مكان أخر.

أنكر الثلاثة المقبوض عليهم من أفراد العصابة أنهم قد شاركوا في عملية خطف عبد الله أو أنهم قد عرفوا بها قبل حدوثها، وطبعًا لكي تصدقهم النيابة كان عليهم أن يدلوا على زملاءهم من أفراد العصابة اللذين قاموا بالفعل بعملية الخطف وبالفعل أرشدوا على الثلاثة رجال اللذين تربصوا بعبد الله حين نزل من بيته صباحًا في اليوم الذي خطفوه فيه وذهب عبد الله لكي يركب سيارته ولكن الثلاثة أحاطوا به فورًا وكانوا يحملون مسدسًا وسكاكين وأجبروا عبد الله على ركوب سيارتهم بالقوة وتحت التهديد بقتله إن لم يركب سيارتهم.

تم اعداد كمائن حول بيوت عائلات أفراد العصابة الهاربين هؤلاء والأماكن التي تم الارشاد إلى أنهم كانوا كثيري التردد عليها وفي

خلال أسبوع واحد تمكنت الشرطة من القبض على سبعة رجال من أفراد العصابة وإن كان اثنان من رجال العصابة هربوا مع زعيم العصابة وكانت المفاجأة أن أحد الرجلين اللذين هربا مع زعيم العصابة هو حلمي جنح والثاني كان رجلاً يتجاوز الخمسين من عمره واسمه حسن الرسام وقد حصل على لقب "الرسام" بسبب أنه كان يجيد للغاية الرسم واستخدام برامج تعديل الصور على الكمبيوتر، وبعد انضمامه للعصابة كان حسن الرسام يقوم بضبط رسومات الدولارات ووضعها على آلات الطباعة بحيث تصبح الرسومات التي يصدرها مشابهة تمامًا لأوراق النقد الأجنبية التي تصدرها الحكومة الأمريكية.

كان كل من حلمي جنح وحسن الرسام تقريبًا بلا عائلات، فقد هاجر إبني حسن الرسام من فترة طويلة إلى الخارج بعدما توفيت زوجته كذلك لم يكن حلمي جنح متزوجًا وكان قد قطع علاقته بوالدته واخوته قبل ذلك وبدا من الواضح أنه لم يعد لبيته بعد ذلك اليوم الذي تم فيه القبض على العصابة.

كان حسن الرسام هو أول من تم اجتذابه للعمل مع العصابة حيث أنه كان يعاني من ضائقة مالية كبيرة بسبب أن المؤسسة الصحفية التي كان يعمل لديها قد أفلست وأغلقت أبوابها ولابد أنه كان يعرف رئيس العصابة من قبل بشكل ما مما جعل رئيس العصابة يحمله معه في سيارته عندما هرب.

كان ثاني الأشخاص الملتحقين بالعصابة هو خبير طباعة اسمه "هشام" كان يعمل في نفس المؤسسة الصحفية التي كان يعمل بها حسن الرسام وكان صديقًا له وكان هو كذلك بالطبع يعاني من ضائقة مالية شديدة بعدما أفلست المؤسسة الصحفية التي كانا يعملان فيها خاصة وأن هشام كانت لديه عائلة يجب عليه أن يعولها.

وقد قام هشام خبير الطباعة بالاتصال بصديق له يقوم بصيانة آلات الطباعة ويُدعى "هيثم" وطلب منه الانضمام للعصابة ووافق هيثم على ذلك، وقد قام هيثم بالاتصال برجل أخر كان يملك مطبعة ولكن مطبعته قد احترقت من فترة قصيرة وقد وافق ذلك الرجل على الانضمام للعصابة وهلم جرًا حتى أصبح عدد أفراد العصابة اثني عشر رجلاً بخلاف رئيس العصابة.

وقال كل من هشام وهيثم أن رئيس العصابة جعلهما يقسمان على مصحف أنهما لن يقوما باعلام أي شخص عن موضوع طبع الدولارات المزيفة الذي يمارسانه وهددهما بالقتل إن أفشيا سره، وقال كل من هشام وهيثم أنهما قد فوجئا بعملية خطف عبد الله وأنهما أبلغا رئيس العصابة باعتراضهما على ذلك الأمر فتزوير الأوراق النقدية شيء وخطف إنسان وتهديد حياته شيء أخر، ولكن رئيس العصابة أخبرهما أنه سيحل مشكلة عبد الله في القريب العاجل وأنه لن يقتله أو يؤذيه وأنهما يجب أن يتركا الأمر له ليحله بنفسه وحده.

وقال كل من هشام وهيثم أن أيًا منهما لم يحاول أبدًا أن يخالف أوامر رئيس العصابة أو يتجسس عليه ليعرف شخصيته الحقيقية فقد كان من الواضح أن الرجل خطر، وحتى بخلاف واقعة الخطف، فقد كان معروفًا أن رئيس العصابة يحتفظ بمسدس في خزانته داخل الفيلا التي كانت تحدث بها عمليات التزوير وكان من الواضح من أسلوبه أنه لن يتردد في استخدام المسدس في حالة مخالفة أوامره أو الانقلاب ضده.

وقال كل أفراد العصابة الذين تم القبض عليهم أنه لم يكن يُسمح لأي منهم أن يقوم بتصريف أوراق النقد الأجنبية، بل كانوا يحصلون على أجورهم بالجنيه المصري.

وبعد إجراء الكثير من التحقيقات تبين للضابط محمد راجي أنه لا أحد من المجموعة من العصابة التي تم القبض عليها يعرف رئيس العصابة ولا رأى وجهه، وذلك على حد قولهم من أن الرجل كان لا يتحرك داخل سور الفيلا في الفيلتين اللتين استخدمتهما العصابة كمقر إلا وهو يلبس القناع الذي يُشبه من بعيد الوجه البشري وأكد هذا قول عبد الله ومصطفى من أنهما رأيا رجلاً يرتدي قناعًا يشبه من بعيد الوجه البشري ولكن من قريب يكون واضحًا أنه قناع جلدي.

كذلك تبين للضابط محمد راجي أن أحد القلائل اللذين شاهدوا الرجل بلا قناع كان دنجل. وعبثًا حاول محمد راجي معرفة شكل الرجل من دنجل. المشكلة في دنجل كانت محاولته لارضاء من يستجوبه وسهولة الايحاء إليه فعندما ذكر أحد المحققين زملاء الضابط محمد راجي أثناء التحقيق مع دنجل أن الرجل قد تكون له علامة ما في وجهه كضربة سكين أوجرح غائر أو ندبة أو وحمة ما، بدأ دنجل يصف وحمات كثيرة وجروح كثيرة في وجه الرجل بعدما ذكر في البداية أن وجه الرجل كان عاديًا وليس به علامات خاصة، وعندما اقترح أحد المحققين وشمًا في وجه الرجل، بدأ دنجل يصف عدد من الوشوم لا يمكن أن تجتمع كلها فعلاً في وجه رجل واحد.

بعد عدة ساعات من استجواب دنجل والذي لم يؤد إلى شيء جاء أبوه ومعه محامي، وحين قابل أبو دنجل الضابط محمد راجي، أكد له محمد راجي أنه لا حاجة به لمحامي فدنجل غير متهم بأي شيء، وأنه حتى تهمة تضليل العدالة التي كان محمد راجي يعتزم في البداية توجيهها لدنجل سحبها محمد راجي حين أدرك أن دنجل كان يعتقد أن الأمر كله لعبة لها علاقة بتنكره في زي جامع قمامة وأنه لم يفهم الجملة التي كان محمد راجي يكررها كثيرًا أثناء التحقيق مع دنجل وهي كلمة "نشاط اجرامي" ولا يدرك خطورتها.

وقال محمد راجي للأستاذ محمود والد دنجل: "كل ما أريده من دنجل، أقصد أشرف طبعًا "وهذا هو الاسم الحقيقي لدنجل حيث أن اسم دنجل هذا كان كنية فقط"هو أن يصف لي كيف كان يبدو زعيم العصابة. معظم أفراد العصابة لم يروا وجهه بينما ابن حضرتك رأه وتحدث معه وأخذ منه مالاً. كل ما أريده هو وصف فعلي لملامح الرجل لعلنا نستطيع أن نرسم للرجل صورة كروكية تبدو شبيهة به ويمكننا أن نعممها على أقسام الشرطة لعلنا نعثر على الرجل."

وسرعان ما تم السماح لدنجل بأن يعود إلى بيته لأن دنجل كان قد وصل إلى درجة من الاهتياج والقلق لم يعد بعدها قادرًا على وصف أي شيء، وعاد به والده في اليوم التالي بعدما هدأ، أو قل كان المفروض أن يكون دنجل قد هدأ، ولكن للأسف عندما جلس دنجل مع محمد راجي والرسام الذي يعمل مع الشرطة بدأ يتحدث عن رجل له عين واحدة في منتصف جبهته وأربعة أذرع مثبتة إلى جانبيه ويغير وصفه للرجل في كل مرة حتى أصبح الرجل ككائن أسطوري لا يشبه أي شيء لدرجة أن والد دنجل هو من فقد أعصابه وبدأ يصرخ في دنجل أن ما يقوله مستحيل، وشعر الضابط محمد راجي الذي يشرف على التحقيق أن الحقيقة فراشة كلما طاردها ازدادت ابتعادًا عنه.

وفي النهاية أعطى الضابط محمد راجي لدنجل قطعة شيكولاتة كبيرة كان محمد راجي قد اشتراها لابنه وربت على كتف دنجل وشكره جدًا هو ووالده على تعاونهما وسلم على المحامي وتركهم يرحلون فقد فهم في النهاية أنه لن يصل عن طريق دنجل إلى شيء وبقيت هوية رئيس العصابة وشكله مجهولين للشرطة.

الفصل الرابع والعشرون:

حسن يحكي

رن جرس هاتفي وكان رقمًا غريبًا لا أعرفه ورددت على الهاتف وفوجئت أنه الرائد/ محمد راجي وبعدما تبادلت معه التحيات المعتادة أبلغني أنه يدعونا أنا وأمي وأخواي إلى قسم الشرطة في صباح اليوم التالي.

وقال الرائد/ محمد راجي أنه تقديرًا لدورنا في القبض على العصابة ولأننا كنا أول من لفت نظر الشرطة لوجود مثل هذه العصابة ولذلك فقد قرر أن يعطي جريدتنا على الانترنت سبقًا صحفيًا وأن يسمح لجريدتنا على الانترنت أن تقوم بتصوير رجال العصابة وعرض مقال مطول ومصور عن القبض على رجال العصابة وكافة تفاصيل القبض عليهم وقد حصل على موافقة النيابة ألا تقوم أية وسيلة إعلامية أخرى سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية بتغطية هذا الحدث لمدة ثلاثة أيام تكون فيها جريدتنا على الانترنت فقط هي المصدر الوحيد للمعلومات عن تلك الحادثة المثيرة مع ما يتيحه لنا ذلك من انتشار لجريدتنا ونقل معظم الصحف الخبر عن جريدتنا وذكر اسم جريدتنا على مختلف وسائل الإعلام.

وقال محمد راجي: "طبعًا نحن لن نعلن عن أسماءكم في أي مكان. أنا شخصيًا كان لدي كامل الاستعداد أن أعلن أن بعض الأولاد والشباب قد ساعدونا في القبض على العصابة ولا أجد أي غضاضة في ذلك ولكن والدتكم طلبت مني ألا أذكر أي معلومات عنكم أو عن دوركم في القبض على العصابة في أي مكان ولا حتى في محاضر التحقيق وذلك لأنكم لازلتم صغارًا وبغرض منع حدوث مشكلات لكم في المستقبل.

وأكدت أنا لمحمد راجي أننا لا نحب أن تُذكر أسماؤنا في أي مكان فقد فعلنا ما فعلناه لدوافع شخصية ونحن الذين يجب أن نشكر الشرطة لأنها أنقذت أخي مصطفى وصديقنا عبد الله من أسر العصابة.

وأردفت أنا: "ولكن طبعًا نحن نرحب جدًا بالسبق الصحفي فجريدتنا على الانترنت مازالت جديدة وهي تحتاج طبعًا للدعاية وانفرادنا بالنشر عن تلك الحادثة المثيرة لمدة ثلاثة أيام سوف تحقق، إن شاء الله، لنا نقلة نوعية وسط الجرائد والمجلات المشهورة في مصر.

شريف يحكي

في اليوم التالي تمت إتاحة الفرصة كاملة لي واستخدمت أنا موبايل أمي ذا القدرات المتفوقة وكذلك استخدام مصطفى أخي الكاميرا الديجيتال الحديثة التي اشتريناها منذ وقت قصير من أجل أعمال المجلة وقمنا بتصوير المجرمين في صور مفردة وفي فيديو مُطول وقمنا بتصوير مجموعة الشرطة التي قبضت على المجرمين يتقدمها العقيد/ محمود والرائد/ محمد راجي وقمنا بتصوير المجموعة في صور مفردة وكذلك قمنا بتصويرهم يحيطون بالمجرمين اللذين وقفوا مقيدين في صف واحد، وقمنا بعمل تحقيقات صحفية مختصرة، طبقًا لأوامر العقيد محمود، مع مختلف أفراد الشرطة.

كذلك تم اعطاؤنا ملف كامل عن المجرمين وعن الأشخاص ذوي السوابق منهم وكل شيء يتصل بالعصابة وتفاصيل المعلومات التي أدلوا بها والتفاصيل الدقيقة الخاصة بالتحقيقات التي يمكن أن نذكرها في مقالنا عن مجهودات رجال الشرطة في القبض على العصابة.

شريف لازال يحكي

بعد أن نشرنا المعلومات التي حصلنا عليها عن عصابة التزييف قامت العديد من المجلات والجرائد وحتى الجرائد القومية وعشرات المواقع على الانترنت والجرائد الالكترونية بنقل الموضوع الذي قمنا بنشره على جريدتنا على الانترنت وتكرر اسم موقعنا على كل هذه المواقع والجرائد القومية والجرائد على الانترنت ودخل الآلاف من الناس على جريدتنا لقراءة الموضوعات التي كتبتها أمي ورؤية الصور والفيديوهات الموجودة على الموقع وبالمرة قام الكثيرون بتصفح اعلاناتنا.

كان هذا حدثًا جللاً بالنسبة لموقعنا وانتشاره وقررت أمي عمل حفلة في بيتنا دعينا لها جميع أفراد فرقة فؤاد عباس وجميع من شاركونا من زملاءنا وأصدقاءنا في تلك المغامرة وعبد الله صديق مصطفى الذي خطفته العصابة والذي أصبح بخير واسترد صحته وتمت معالجة الجرح في رسغه. كذلك حضر الحفل خالتي إيمان وسلمى ودينا ودعت أمي الضابط محمد راجي والذي حضر إلى الحفل ومعه زوجته وإبنه الصغير الذي لم يتعدى عمره العامين .

وطبعًا اضطر مصطفى المسكين أن يشتري من مصروفه تورتة الشيكولاتة الكبيرة التي وعد بها دنجل فقد قام دنجل طبقًا لاتفاقه مع مصطفى بالوقوف خارج الفيلا وإرشاد الشرطة إلى الفيلا عندما وصلت الشرطة إلى المكان. أما كون الفيلا التي وقف أمامها دنجل هي فيلا مختلفة عن الفيلا التي طلب منه مصطفى الوقوف أمامها فهذا بالطبع لا يعني شيئًا بالنسبة لدنجل. الاتفاق اتفاق.

تمت بحمد الله

لغز المخازن المغلقة

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة: **عبير عبد الرزاق شحاتة**

رقم الإيداع بدار الكتب **٢٠٢٠/٥٩٣٠**

رقم الترقيم الدولي ISBN **978-977-90-7065-0**

سوف يتعرض كل من يقوم بإستخدام هذا المؤلف بشكل غير مصرح به أو إعادة طبع هذا المؤلف بأي وسيلة سواء كانت الكترونية أو آلية بما يشمل أنظمة التخزين والاسترجاع أو الاقتباس عن هذا المؤلف أو تقليده أو استخدامه في عمل فني دون الحصول على إذن مسبق مكتوب من المؤلفة للمساءلة القانونية إلى أقصى حدود القانون

إقرار:

كل أحداث هذه الرواية وشخصياتها خيالية تمامًا، وكل تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة البحتة.

تمت الطباعة في:
مطبعة A2Z Print

شريف يحكي

المغامرة الأولى

لغز المخازن المغلقة

اعتليت السور في الظلام وأنا ألبس ملابس سوداء في
سواد الظلام نفسه. بدا لي ضوء خافت من خلف شيش
الشباك البعيد، وذلك الصوت الذي لا أعرف ما هو يهدر عاليًا من بعيد.
اللافتة في الأمام بجانب البوابة الكبيرة تعلن بشكل مبهم
ومحدد في نفس الوقت "مخازن" والحارس المسلح كذلك ربما كان
يحرس مخازن، ولكني لا أظن ذلك. هناك شيء ما يحدث هنا.
أنا لا أعرف ما هو ولكني سأعرف. لابد أن أعرف.

تأليف
عبير عبد الرزاق شحاتة